أول مرة أحسن الظن



تأليف

عادل محمد خليل (أبو آدم)

للنشر والتوزيع القاهرة

أول مرة أحسن الظن

إعداد

أبو آدم/ عادل محمد الشربيني

الطبعة الأولى
٢٠٢٥م - ١٤٤٦هـ

العصرية للنشر والتوزيع

أول مرة أحسن الظن

رقم الإيداع: 6198/ 2025
الرقم الدولي : 978-6039-049-586-5
عدد الصفحات: 216 صفحة
المقاس: 14 × 20 سم

الكاتب: أبو آدم / عادل محمد الشربيني

شارع البيطار، خلف الجامع الأزهر، القاهرة، مصر
0106969481 / 01005226404 www.alasryaa.com
01005226404 info@alasryaa.com
Al3asrya Al3asryalibrary

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله وحده، نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وبعد...

قال ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: 56]، فكل عضو خلقه الله للإنسان إنما خلقه ليساعده علىٰ أداء وظيفة العبودية، فإن صرفها الإنسان للعبادة تناغمت وانسجمت الروح مع الجسد، وحلت الطمأنينة والسكينة والرضا، وإن صرفها الإنسان لغير ما خلقت من أجله نفرت وتباعدت الروح من الجسد، وصار بينهما نفرة وفجوة، وحلت الكآبة واليأس والضيق والقنوط.

ولما كان القلب ملك الأعضاء وسيدها، أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ بالعناية به أشد العناية، وجعل أعمال القلوب مقدمة علىٰ أعمال الجوارح، بل جعلها أساسها ومفتاحها، فلا يصح عمل إلا بنية، والنية محلها القلب،

فكانت أعمال القلوب بالنسبة لأعمال الجوارح كالروح للجسد، وإن من أعظم وأجل وأهم أعمال القلوب هو حسن الظن بالله، إذ لا غنىٰ للعباد عنه في دينهم أو دنياهم، فمن منا لا يغفل أو يعصي، فنحتاج حسن الظن في رحمة الله ليساعدنا علىٰ التوبة والرجوع إلىٰ الله، ومن منا لا تعضه الدنيا وتصيبه المصائب، وتزعزعه الزعازع، فنحتاج لحسن الظن فيفتح لنا باب الأمل والرجاء في الله فنقوم من جديد، ونواجه مصاعبنا بقلوب قوية وعزم من حديد.

لذا فإن حسن الظن بالله سفينة نجاة في بحر المحن والفتن، وهو سمو ورقي للمرء في وقت اليأس والقنوط، وهو الذي يثبت القلب علىٰ حقيقة أن الله تعاليقادر علىٰ كل شيء، وبيده كل شيء، وعنده مفاتح السموات والأرض، وخزائن كل شيء، وأنه لا يخلف الميعاد، وأن وعده الحق، وقوله الحق ودينه الحق.

وإن حسن الظن بالله عمل قلبي عظيم المنزلة والأثر في الدين وله عاقبة حسنة، والعبد مفتقر إليه في سيره لربه ومكابدته لأمور معاشه وتعامله مع صنوف الخلق، قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾[البقرة: 195]، قال سفيان الثوري: «أي أحسنوا بالله تعالىٰ الظن».

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**أنا عند ظن عبدي بي إن ظنَّ خيرًا فله، وَإِنْ ظَنَّ شرًّا فله**».

وكان سعيد بن جبير يقول: «اللهم إني أسألك صدق التوكل عليك وحسن الظن بك».

وحقيقة حسن الظن بالله أن يظن العبد بالله خيرًا ورحمة وإحسانًا في معاملته ومكافأته ومجازاته أحسن الجزاء في الدنيا والآخرة.

ومع كمال وجلال وكثرة إحسان الله تعالىٰ لخلقه، وإفضاله عليهم، تجد أكثر الناس لا يشكرون، وإذا أصابتهم مصيبة أو وقع بهم بلاء يسيئون الظن بالله.

وقد عبر عن ذلك ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: «أكثر الخلق بل كلهم إلا من شاء الله يظنون بالله غير الحق ظن السوء فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق، ناقص الحظ، وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله، ولسان حاله يقول: ظلمني ربي ومنعني ما أستحق، ونفسه تشهد عليه لذلك، وهو بلسانه ينكره ولا يتجاسر علىٰ التصريح به ومن فتش نفسه وتغلغل في معرفة دفائنها وطواياها، رأىٰ ذلك فيها كامنًا كمون النار في الزناد، فاقدح زناد من شئت ينبئك شَراره عما في زناده، ولو فتشت من فتشته، لرأيت عنده تعتبًا علىٰ القدر وملامة له، واقتراحًا عليه خلاف ما جرىٰ به، وأنه ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم من ذلك».

فنسأل الله تعالىٰ أن يسلمنا من سوء الظن به، وأن يرزقنا وإياكم

حسن الظن به حتىٰ نلقاه وهو راض عنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلىٰ الله وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وكتبه الفقير لعفو ربه

أبو آدم / عادل محمد الشربيني

تمهيد

❁ قد يسوق إليكَ قدرًا يُبكيك ساعةً؛ لئلا تبكي بعدها دهرًا..

❁ قد يسوق إليكَ تأخيرًا لِأمرِك سنةً؛ لئلا تتوقف بعدَهَا الخيرات عنك دهرًا..

❁ قد يأخذ منك مقدار حبة مِن خردلٍ من رزقٍ؛ ليغمرك بمِداد البحر أجرًا..

❁ قد يُذيقك ألم الوَحشَةِ ليلًا؛ ليفتح على قلبك بابًا للأُنسِ به لا ينقطع سرمدًا..

❁ قد يُباعِد بينك وبين ما تمنىٰ قلبك حِينًا؛ ليختبر صبرك فيتركهُ لكَ أبدًا..

❁ قد يقطع عنك رسائلهُ أمَدًا؛ ليأتي بك إليه جرًا..

❁ قد يتركك تنادي طويلًا ظانًا أن صوتك لا صدىٰ لهُ عِندَه؛ لِتُطيل النداء فيزداد الدعاء فيعظُم العطاء..

❁ قد يَكتُب عليكَ قدرًا لم تتصور أن يكتبهُ عليكَ يومًا؛ لأنه يُخبئ لك بعده رزقًا لم تتوقعه أيضًا..

❁ قد يقطع أسبابك جميعها فتظنه يُعَجِّزُك؛ وهو الذي يرفعك لدرجة المُضطر فيُجيب حينها دعاءك ويُلبي حاجتك..

❁ قد يتركك للأيام تأكل جدران قلبك يأسًا دون إجابة، لأنه يعلم مدىٰ حلاوة الجبر بعد اليأس من النصر، فيكتب لك أجر الصبر وحلاوة الجبر..

❁ قد يراك نائمًا قانطًا مِن رحمته، ساخطًا علىٰ قدره، ثم يُوقِظ عبدًا صالحًا مِن عباده في ثلث الليل يذكرك فيدعوا لك غيبًا..

❁ قد يفعل الله لكَ شيئًا تتعجب (لماذا حدث)؟! ولماذا (في هذا التوقيت بالتحديد)؟!

قد يحتار عقلك، بل حتمًا سيحتار عقلك في فهم كثير مِن الأحداث، إلىٰ أن يؤذن لكَ بِرؤية الله في أقداره، رؤية أثار رحمة الله في قضائه، رؤية يدِ الله التي تعمل في الخفاء..

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾

[البقرة: 143].



أهمية أعمال القلوب وفضلها

يظن بعض المسلمين أن أعمال القلوب من فضائل الأعمال ومستحباتها، فمن قام بها فله أجر ومثوبة، ومن قصر فيها فلا شيء عليه، وهذا مما يبين لنا سبب التقصير والخلل عند كثير من الناس في تّعلُّم أعمال القلوب وتكميلها والقيام بها، كما يسعىٰ أحدهم في تَعلُّم وتكميل والقيام بأعمال الجوارح.

ولتوضيح أهمية أعمال القلوب، فقد جعلتها في نقاط رئيسية عسىٰ الله أن ينفعنا وإياكم بها:

❁ إن أعمال القلوب واجبة علىٰ كل مسلم كما تجب عليه أعمال الجوارح، بل إن أعمال القلوب أشد وجوبًا من أعمال الجوارح وآكد منها.

فقد ترىٰ بعض الناس يتحرَّج من تركِ واجب من واجبات الأبدان، وقد ترك ما هو أهمّ واجبات القلوب وأفْرَضها، ويتحرج من فعل أدنىٰ المحرمات، وقد ارتكب من محرمات القلوب ما هو أشد تحريمًا وأعظم إثمًا.

❁ إن قيام العبد بأعمال القلوب - بتوفيق الله - سبب للثواب،

والتقصير والتفريط فيها قد يكون سببًا للعقاب في الدنيا والآخرة، كما هو الحال في أعمال الجوارح.

أما في الدنيا فالثواب عليها يكون بقبول الطاعات، واستجابة الدعوات، والطمأنينة والفرح في القلب والتوفيق للحق والثبات عليه وغيرها، وأما العقوبة فقد تكون حسية أو معنوية وذلك بعدم قبول الطاعات، أو حرمان التوفيق لها، والضيق والضنك في القلوب وغيرها.

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وربما رأىٰ العاصي سلامة بدنه وماله فظن أنه لا عقوبة، وكانت غلفته هيالعقوبة، وقد قال الحكماء: المعصية بعد المعصية عقاب المعصية، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة، وربما كان العقاب العاجل معنويًا، كما قال بعض أحبار بني إسرائيل: يا ربِّ كم أعصيك ولا تعاقبني؟ قيل له: كم أعاقبك ولا تدري، أليس قد حرمتك حلاوة مناجاتي؟».

۞ إن العبادات القلبية هي الأصل والعبادات البدنية تبع ومكملة لها؛ إذ إن العبادات القلبية روح العبادات البدنية.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مبيِّنًا أهمية أعمال القلوب في حديثه عن النية وأهميتها**: «وإنما هي الأصل المراد المقصود، وأعمال الجوارح تبعٌ ومكملة ومُتممةٌ، وإن النية بمنزلة الروح، والعمل بمنزلة الجسد والأعضاء، الذي إذا فارق الروح فموات، وكذلك العمل إذا لم تصحبه

النية فحركة عابث، فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح؛ إذ هي أصلها، وأحكام الجوارح متفرعة عليها».

تفاضل العباد عند الله تعالىٰ بتفاضل ما في قلوبهم من أعمال القلوب، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحُجُرات: 13]، وأصل التقوىٰ عمل القلب، قال ﷺ: «**التقوىٰ هاهنا**» ويشير إلىٰ صدره ثلاث مرات.

ويقول ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في وصف أصحاب رسول الله ﷺ: «أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبا...».

وقال أبو بكر المزني رَحِمَهُٱللَّهُ: «ما فاق أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أصحاب محمد ﷺ بصوم ولا صلاة، ولكن بشيء كان في قلبه».

عمر بن الخطاب رغم أن إسلامه كان متأخرًا بالنسبة للعشرة المبشرين بالجنة؛ إذ كان إسلامه في السنة السادسة من البعثة إلا أنه تقدم علىٰ غيره سوىٰ أبي بكر الصديق، وقد أفاد شيخ الإسلام عن ذلك بقوله: «وكان عمر لكونه أكمل إيمانًا وإخلاصًا وصدقًا ومعرفة وفراسة ونورًا أبعد عن هوىٰ النفس وأعلىٰ همة في إقامة دين الله، مقدمًا علىٰ سائر المسلمين غير أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين».

تفاضل أعمال العباد عند الله جَلَّوَعَلَا بتفاضل ما في قلوبهم من أعمال القلوب، فقد يعمل الرجلان عملًا واحدًا، والفرق بين عمليهما عند الله كما بين السماء والأرض، لتفاضل ما في قلبيهما من أعمال القلوب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص، وإن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحدًا، وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض».

۞ إن القلب وما فيه من أعمال القلوب هو محل نظر الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، قال ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلىٰ صوركم ولا إلىٰ أموالكم، ولكن ينظر إلىٰ قلوبكم وأعمالكم**».

۞ القلب كالملك، والجوارح كالجنود التابعة له، فبصلاح القلب تصلح الجوارح بالعمل الصالح، وبفساد القلب تفسد الجوارح بالمعاصي، قال ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**».

۞ إن لذة العبادة والطمأنينة فيها والأُنس بها، وقرة العين، وراحة النفس وانشراح الصدر لا تكون إلا بتحقيق أعمال القلوب أثناء القيام بتلك العبادة؛ لأن أعمال القلوب هي روح أعمال الجوارح، وبالروح تكون اللذة والطمأنينة والأنس، وإن فارقتها تصبح أعمال الجوارح موات لا روح فيها ولا لذة وطمأنينة ولا أنس.

وأحسن القول.. قول ربي سبحانه.. فقد قال جَلَّ وَعَلَا في كتابه الكريم: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: 88-89].

حاجتنا إلى حسن الظن بالله تعالى

❁ حسن الظـن بـالله.. لا يجعلنـا نقـرأ الأحـداث والأشـخاص والمجتمعات قراءةً سلبية قاتمة، وإنما يساعدنا أن نقرأها قراءة إيجابية معتدلة تُعنىٰ بالجانب الإيجابي وإبرازه والنظر إليه والحفاوة به بقدر ما تعنىٰ برؤية الجانب السلبي برحمة وإشفاق وسعي وتصحيح.

❁ حسن الظن بالله.. شعور نفسي عميق واعٍ، يوظِّف الأشياء الجميلة في أنفسنا ومن حولنا توظيفًا إيجابيًّا، فهو من أكبر نِعَمِ الله علينا.

❁ حسن الظن بالله.. يعين علىٰ تحسين الصحة العقلية؛ فيجعلنا نرىٰ الأشياء كما هي؛ فنفكر باعتدال، ونبحث عن الحلول ونحصد الأرباح والمكاسب، بعيدًا عن سيطرة الوهم والخوف والتشاؤم.

❁ حسن الظن بالله.. يعيننا علىٰ تحسين الصحة النفسية؛ فالذي يحسن الظن سعيد، يأكل ويشرب، وينام، ويستمتع ويسافر، ويشاهد ويسمع، ويبتسم ويضحك، ويَجِدّ دون أن يمنعه من ذلك شعور عابر يتخلله خوف أو تشاؤم.

❁ حسن الظن بالله.. يعيننا علىٰ تحسين الصحة البدنية؛ فإن

النفس تؤثر علىٰ الجسد، وربما أصبح الإنسان عليلًا من غير علة، ويا لها من عِلَّة؛ أن تكون النفس مسكونةً بهواجس القلق والتشاؤم وتوقُّع الأسوأ في كل حال.

۞ حسن الظن بالله.. يساعدنا في مقاومة الأمراض، فيجعلنا أقدر من غيرنا علىٰ تجاوز الأمراض، وحتىٰ الأمراض الخطيرة، ويعطينا قدرة غريبة علىٰ تجاوزها والاستجابة لمحاولات الشفاء.

۞ حسن الظن بالله.. يساعدنا أن نسيطر علىٰ أنفسنا ونشارك في صناعة مستقبلنا بشكل فعَّال وكفء؛ ويساعدنا علىٰ التوازن بين المشكلات والعوائق، وبين الأسباب والحلول.

۞ حسن الظن بالله.. لا يجعلنا عميانًا ولا واهمين نعيش في الأحلام، وإنما يجلنا واقعيين؛ ندرك أن الحياة بقدر ما فيها من المشكلات؛ يوجد إلىٰ جوارها الحلول، وبقدر العقبات فهناك الهمم القوية التي تحوِّل المشكلة والأزمة إلىٰ فرصة جميلة.

۞ حسن الظن بالله.. يساعدنا أن ننجح في العمل؛ لأنه يجعلنا نستقبله بنفس راضية وصبر ودأب، ونعتبر أننا في مقام اختبار، ونحن مُصِرّون علىٰ النجاح.

۞ حسن الظن بالله.. يجعلنا ننجح في التجارة؛ لأنه يجعلنا نستقبل مشاريعنا ومحاولاتنا، ونحسب خطواته بشكل جيد، كل ذلك برضىً وثقة وطمأنينة.

❁ حسن الظن بالله.. يساعدنا أن ننجح بالزواج؛ لأنه يجعل لدينا القابلية الكبيرة على الاندماج مع الطرف الآخر، والتفاهم، وحسن التعامل، والاستعداد للاعتذار عند الخطأ، والتسامح عند خطأ الطرف الآخر.

❁ حسن الظن بالله.. لا يجعلنا نتوقف عن العمل أبدًا، بل يجعلنا دومًا في عمل دءوب، وقد قال الله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحِجر: 99].

❁ حسن الظن.. أكبر الأسباب في مواجهة الصعاب؛ فإن الحياة مطبوعة علىٰ الكدر:

طُبِعَتْ على كَدَرٍ وأنت تريدها صفوًا من الأقذاءِ والأكدارِ

لكن الذي خلق الصعاب هو الذي يعين العبد إذا استعان به، فهو الذي أودع بالإنسان القدرةَ علىٰ الصبر والتحمل و... حسن الظن به سبحانه.

رزقنا الله وإياكم حسن الظن به،

ولا نزعه من قلوبنا، حتى نعيش به ونلقاه به سبحانه.



أحوال الناس في الدنيا

(يرجون أو يؤملون - يخافون أو يقلقون)

لذا كان لابد من حسن الظن ليحيىٰ القلب:

للمصيبة نوعان، ولكل نوع منهما امتحان في صبر الإنسان عليها:

أما الأولى: فمصيبة تقع وتنقطع، كموت حبيب، وذهاب عضو، وفقدان مال، وامتحانُ الصبر في تلك المصيبة إنما هو عند الصدمة الأولىٰ، فمن هُدِيَ للصبرِ أولَ عِلْمِه بوقوع المصيبة وأحسن الظن بربه؛ فقد أدىٰ الذي عليه وجاز هذا الامتحان، ولم يبق عليه إلا معالجة الذكرىٰ، ووَأْد نفثات السخط التي لا يَمَلَ الشيطان منها.

وأما الثانية: فمصيبة يقع أولها ولما تبلغ آخرها، وتلك أكثر المصائب وقوعًا بالناس، سواء وقعت بهم أو بمن يحبون، ومنها المرض والظلم والسجن وضيق العيش.

وامتحان هذا النوع أعسر وأشق، ذلك أنك تُمتحن بالصبر عند أولها، ثم تؤمر باستدامة الصبر، ثم يأتي الامتحان الأعظم، وذلك أنك لا تزال ترجو الفرج من الله، وتحسن الظن به سبحانه، فيكون أشق البلاء من داخل بلاء المصيبة: أن يتأخر الفرج، أو ينقطع أملك من أسباب الدنيا المؤدية إليه، وتبقىٰ ومصيبتك تحسب أن لن تفرج، ثم

يطول الأمر وربما كان مما يقدره الله ويقضيه أن يظل بلاؤك معك لا فرج فيه في الدنيا، وها هنا محز الإيمان، ومنزلة أولياء الله الصالحين، التي لطالما يجوزها أناس من عرض الناس لا يعرفون، ويسقط فيها من كنا نحسبهم أهلها وأولي بحملها.

وقد تدبرتُ كثيرًا فيما يعين الناس علىٰ مجاوزة هذا البلاء العظيم، فوجدته بعد حول الله وقوته وإعانته لمن شاء من عباده، يرجع إلىٰ باب واحد: حسن الظن بالله، وحسن النظر إلىٰ الدنيا بأنها وأوصابها زائلة منقطعة، وأن غمسةً في الجنة تُنسي كل شقاء.

وهذا قدوتنا ورسولنا يعلمنا كيف نتعامل مع الأحداث خيرًا كانت أم شرًا:

كَانَ إِذا أَتَاهُ الْأَمر الَّذِي يسره، وَفِي رِوَايَة أَتَاهُ الشَّيْء يسره قَالَ: الْحَمد لله الَّذِي بنعمته تتمّ الصَّالِحَات، وَإِذا أَتَاهُ الْأَمر الَّذِي يكرههُ قَالَ: الْحَمد لله علىٰ كل حَال.

وقد علق الْحَلِيمِيّ تعليقًا جميلًا علىٰ هذا الحديث حين قال: هَذَا علىٰ حسن الظَّن بِالله تَعَالَىٰ، وَأَنه لم يَأْتِ بالمكروه إِلَّا لخير علمه لعَبْدِهِ فِيهِ، وأراده بِهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: اللَّهُمَّ لَك الْخلق وَالْأَمر تفعل مَا تُرِيدُ، وَأَنت علىٰ كل شَيْء قدير، ولا يأتي منك إلا الخير أيًا كان صورته، فلك الحمد[1].

---

(1) رواه ابْن السّني فِي «عمل اليوم والليلة».

الترغيب في حسن الظن

ما جاء في كتاب الله تعالى في حسن الظن:

حسن الظن في جزاء أعمالنا يوم أن نلقى ربنًا:

1- قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: 45- 46].

2- قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحاقة: 19- 23].

حسن الظن في توفيق الله لنا لإقامة حدوده:

3- قال تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ [البقرة: 230].

حسن الظن في التضحية بالنفس من أجل الله:

4- قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾[البقرة: 249].

حسن الظن في التوبة والرجوع إلى الله:

5- قال تعالىٰ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[التوبة: 117- 118].

حسن الظن في قدرة الله وقوته ورحمته:

7- قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ﴿١٢﴾﴾[الجن: 12].

ما جاء عن سيد البشر محمد ﷺ عن حسن الظن:

1- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسول الله ﷺ قال: **«إنّ حسن الظّنّ بالله تعالىٰ من حسن العبادة»**(1).

2- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ: **أنّ الله عَزَّ وَجَلَّ قال:**

---

(1) رواه أحمد، وأبو داود.

«أنا عند ظنّ عبدي بي، إنّ ظنّ بي خيرًا فله، وإن ظنّ شرًّا فله»[1].

3- عن حيّان أبي النّضر، قال: دخلت مع واثلة بن الأسقع علىٰ أبي الأسود الجرشيّ في مرضه الّذي مات فيه، فسلّم عليه وجلس. قال: فأخذ أبو الأسود يمين واثلة، فمسح بها علىٰ عينيه ووجهه لبيعته بها رسول الله ﷺ فقال له واثلة: واحدة أسألك عنها، قال: وما هي؟ قال: كيف ظنّك بربّك؟ قال: فقال أبو الأسود، وأشار برأسه، أي حسن، قال واثلة: أبشر إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله عَزَّوَجَلَّ: أنا عند ظنّ عبدي بي فليظنّ بي ما شاء**»[2].

قوله سبحانه: (عند ظن عبدي): أي ظن الإجابة عند الدعاء وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار... وهكذا في جميع أمور العبد[3].

4- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النّبيّ ﷺ قال: «**إنّ لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجنّ والإنس والبهائم والهوامّ فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش علىٰ ولدها، وأخّر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم الله بها عباده يوم القيامة**»[4].

---

(1) رواه أحمد.

(2) رواه أحمد.

(3) رواه القرطبي.

(4) رواه البخاري، ومسلم.

5- عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قدم على النّبيّ ﷺ سبي، فإذا امرأة من السّبي تحلب ثديها تسقي. إذا وجدت صبيًّا في السّبي، أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال النّبيّ ﷺ: «**أترون هذه طارحة ولدها في النّار؟**» قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال: «**لله أرحم بعباده من هذه بولدها**»[1].

6- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والّذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**»[2].

7- عَنْ أَبِي رَزِينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَ يَضْحَكُ الرَّبُّ؟، قَالَ: «**نَعَمْ**»، قُلْتُ: لَنْ نَعْدِمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا[3].

قال الحافظ أَبُو بَكْر بْن أبي الدُّنْيَا: حَدَّثَنِي الْحَسَن بْن عَبْد الرَّحْمَن: أنَّ وَزِير الْملك نَفَاهُ الْملك لموجدة وجدهَا عَلَيْهِ فَاغْتَمَّ لذَلِك غمًّا شَدِيدًا فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَة فِي بَيت لَهُ إِذْ أنْشدهُ رَجُل كَانَ مَعَه:

---

(1) رواه البخاري، ومسلم.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه أحمد، وصححه الذهبي، وابن تيمية، وابن القيم، والألباني «الصَّحِيحَة» (2810).

أَحْسِــنِ الظَّــنَّ بــربٍّ عَــوَّدَّكْ حَسَــنًا بــا لْأَمْس وسَــوّى أَوَدَكْ
إِنَّ ربّـــا كَـــانَ يَكْفِيـــك الَّـــذِي كَانَ بالْأَمْس سيكفيك غَـدَك[1]

وهذا الحافظ الكبير ابن أبي الدنيا، له كتاب جميل اسمه (حسن الظن) فيه واحدٌ وخمسون ومائة نصٍّ، ما بين آيةٍ وحديث، كلُّها تدعوك إلىٰ التفاؤلِ، وترْكِ اليأسِ والقنوطِ، والمُثابرَة علىٰ حُسْنِ الظَّنِّ وحُسْنِ العَمَلِ، حتىٰ إنك لتجدُ نصوصَ الوعدِ أعْظَمَ منْ نصوصِ الوعيدِ، وأدلَّةَ التهديدِ، وقد جعل اللهُ لكلِّ شيءٍ قدرًا.



(١) أَودَك: قوامك وصلبك.

عناية الله تعالى بالمؤمنين

مما يزيد العبد ثقة في ربه وطمأنينة في قلبه عند مخاوفه وحسن ظنه فيه سبحانه أنه ينجيه؛ علمُه أن الله تعالىٰ توعد من آذىٰ المؤمنين توعدًا شديدًا، فقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب: 58].

بل توعد سبحانه من أراد فقط أن يؤذي المؤمنين أو أحب أن يصابوا بأذىٰ بالعذاب الأليم، فقال جل في علاه: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحج: 25].

وقال جل في علاه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النور: 19].

فكيف لا نحسن الظن بربنا بعد هذه الولاية والعناية.



الترهيب من سوء الظن

ما جاء في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ عن سوء الظن بالله تعالى في الأمم الماضية:

سوء الظن في حكمة الله وعدله:

1- قال تعالى: ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [البقرة: 75 - 78].

سوء الظن في حماية الله لأنبيائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

2- قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ

ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿١٥٤﴾ فَبِ
نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُو
غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِ
عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ﴿١٥٦﴾ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱ
وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَ
بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾ [النساء: 153-157].

سوء الظن في صدق أنبياء الله عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ:

3- قال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۗ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَ
مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ
فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأعراف: 65- 66].

4- قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ
﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾ فَقَ
ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِ
ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّ
كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [هود: 25- 27].

5- قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِ
إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴿١٠١﴾ ﴾ [الإسراء: 101].

6- قال تعالىٰ: ﴿ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّا

أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾﴾ [الشعراء: 182- 186].

7- قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [القصص: 38- 39].

8- قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر: 36- 37].

سوء الظن في نصرة الله لدينه:

9- قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف: 109- 110].

سوء الظن في حكمة الله ورحمته:

10- قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف: 35- 36].

11- قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية: 24].

12- قال تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾ [الجن: 5- 7].

13- قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الجن: 1- 5].

سوء الظن وعواقبه في أمة محمد ﷺ:

1- قال تعالى: ﴿۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ

قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾[آل عمران: 153- 154].

2- قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾[الأنعام: 116].

3- قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾[الأنعام: 148].

4- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[يونس: 24].

5- قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[يونس: 36].

6- قال تعالى: ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[يونس: 60].

7- قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[يونس: 66].

8- قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾[الحج: 15].

9- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾[الأحزاب: 9- 10].

10- قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾[ص: 27].

11- قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[فُصِّلت: 23].

12- قال تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى

وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [فُصِّلت: 49- 50].

13- قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الجاثية: 31- 32].

14- قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ [الفتح: 4- 6].

15- قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الفتح: 11- 12].

16- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحُجُرات: 12].

17- قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾[النجم: 19- 23].

18- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾[النجم: 27- 28].

19- قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾[الحشر: 1- 2].

20- قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾[الانشقاق: 10- 14].

وإذا تكاثرت عليك الآيات وأعياك حفظها والوقوف عند كل واحدة منها، فيكفيك في هذا الباب آيتان من كتاب ربنا جَلَّ وَعَلَا:

أما الأولى، فقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾[الحجر: 56].

وأما الثانية، فقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٧﴾ [يوسف: 87].

فقد وصف الله عَزَّوَجَلَّ من أساء الظن به بالكفر والضلال وهما أشد ما يوصف بهما عبد، أعاذنا الله وإياكم من سوء الظن به.

ما جاء عن سيد البشر محمد ﷺ في خطورة سوء الظن بالله تعالى:

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إيّاكم والظّنّ؛ فإنّ الظّنّ أكذب الحديث. ولا تحسّسوا، ولا تجسّسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا**»[1].

- عن أبي أمامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النّبيّ ﷺ قال: «**إنّ الأمير إذا ابتغى الريبة في النّاس أفسدهم**»[2].

- عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: بعث رسول الله ﷺ عمر على الصدقة. فقيل: منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعبّاس عمّ رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «**ما ينقم ابن جميل إلّا أنّه كان فقيرًا فأغناه الله. وأمّا خالد فإنّكم تظلمون خالدًا، قد احتبس أدراعه وأعتاده في سبيل الله، وأمّا العبّاس فهي عليّ ومثلها معها**»[3].

---

(1) رواه البخاري، ومسلم.

(2) رواه أبو داود.

(3) رواه البخاري، ومسلم.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل من بني فزارة إلىٰ النّبيّ ﷺ فقال: إنّ امرأتي ولدت غلامًا أسود، فقال النّبيّ ﷺ: **«هل لك من إبل؟»**، قال: نعم، قال: **«فما ألوانها؟»**، قال: حُمْرٌ، قال: **«هل فيها من أَوْرَق؟»**، قال: إنّ فيها لَوُرْقًا، قال: **«فأنّىٰ أتاها ذلك؟»**، قال: عسىٰ أن يكون نزعه عِرْق، قال: **«وهذا عسىٰ أن يكون نزعه عِرْق»**(2).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: **«كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلىٰ سوأة بعض وكان موسىٰ** -عَلَيْهِ السَّلَامُ- **يغتسل وحده. فقالوا: والله ما يمنع موسىٰ أن يغتسل معنا إلّا أنّه آدر** [عظيم الخصيتين]**، قال: فذهب مرّة يغتسل فوضع ثوبه علىٰ حجر ففرّ الحجر بثوبه قال: فجمح** [جرىٰ] **موسىٰ بإثره يقول: ثوبي حجر.. ثوبي حجر، حتّىٰ نظرت بنو إسرائيل إلىٰ سوأة موسىٰ، قالوا: والله ما بموسىٰ من بأس، فقام الحجر حتّىٰ نظر إليه، فأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربًا»**(3).

عن عتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو ممّن شهد بدرًا، قال: كنت أصلّي لقومي بني سالم، وكان يحول بيني وبينهم واد إذا جاءت الأمطار فيشقّ عليّ اجتيازه قبل مسجدهم، فجئت رسول الله ﷺ فقلت

هو: الذي فيه سواد ليس بصاف.

رواه البخاري، ومسلم.

رواه البخاري، ومسلم.

له: إنّي أنكرت بصري وإنّ الوادي الّذي بيني وبين قومي يسيل إذا جاءت الأمطار فيشقّ عليّ اجتيازه فوددت أنّك تأتي فتصلّي من بيتي مكانا أتّخذه مصلّىٰ، فقال رسول الله ﷺ: «**سأفعل**». فغدا عليّ رسول الله ﷺ وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعدما اشتدّ النّهار فاستأذن رسول الله ﷺ، فأذنت له فلم يجلس حتّىٰ قال: «**أين تحبّ أن أصلّي من بيتك؟ فأشرت له إلىٰ المكان الّذي أحبّ أن أصلّي فيه فقام رسول الله ﷺ فكبّر وصففنا وراءه فصلّىٰ ركعتين ثمّ سلّم وسلّمنا حين سلّم فحبسته علىٰ خزير** [لحم يقطع صغارًا ثم يصب عليه ماء كثير، فاذا نضج، وضعوا عليه دقيق] **يصنع له، فسمع أهل الدّار أنّ رسول الله ﷺ في بيتي، فثاب رجال منهم حتّىٰ كثر الرّجال في البيت، فقال رجل منهم: ما فعل مالك؟ لا أراه، فقال رجل منهم: ذاك منافق لا يحبّ الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقل ذاك، ألا تراه قال لا إله إلّا الله يبتغي بذلك وجه الله»**، فقال: الله ورسوله أعلم، أمّا نحن فو الله ما نرىٰ ودّه ولا حديثه إلّا إلىٰ المنافقين، قال رسول الله ﷺ: «**فإنّ الله قد حرّم علىٰ النّار من قال لا إله إلّا الله يبتغي بذلك وجه الله**»(1).

7- عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لمّا كان يوم حنين آثر النّبيّ ﷺ أناسًا في القسمة: فأعطىٰ الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطىٰ عيينة مثل ذلك، وأعطىٰ أناسًا من أشراف العرب فآثرهم يومئذ في

---

(1) رواه البخاري، ومسلم.

القسمة. قال رجل: والله إنّ هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله، فقلت: والله لأخبرنّ النّبيّ ﷺ، فأتيته فأخبرته، فقال: «**فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟ رحم الله موسىٰ. فقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»



رواه البخاري، ومسلم.

علاقة حسن الظن بالصبر والرضى بالقضاء والقدر

حديث ابن عباس: كنت خلف النّبيّ ﷺ يومًا، فقال: «**يا غلام إنّي أعلّمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنّ الأمّة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلّا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضرّوك بشيء لم يضرّوك إلّا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفّت الصّحف**».

فمن علم وأيقن بأن المقادير قد علمها الله تعالىٰ وكتبها علىٰ خلقه، فما يستطيع عبد أن يغير فيها شيئًا، ولا يخرج عبد عن حكم الله طرفة عين؛ صبر علىٰ ما يكرهه منها ورضي به، ولا سبيل لذلك إلا عن طريق حسن الظن بالله تعالىٰ.

فلنتذكر جميعًا: أن أشد ما يُبتلي به الإنسان هو الرضا بأقداره تعالىٰ التي خالفت كل توقعاته، حين يرضىٰ علىٰ حزنه ويرضىٰ علىٰ بلاءه، يرضىٰ علىٰ كل موقف يعيشه ويخالف هواه، فيصبح علىٰ يقين أن ما قضاه الله هو الخير، وأن ما قدره الله هو الصواب، فيعطيه الله

الأجر مرتين ويعوضه من العوض مرتين، جزاء لعظمة صبره.

فمن أحسن الظن بربه صبر على البلاء...

ومن أحسن الظن بربه امتلأ قلبه بالرجاء...

ومن أحسن الظن فهم حكمة تأخر العطاء...

ومن أحسن الظن بربه لم ييأس من الشفاء...

ومن أحسن الظن بربه رضي بالقضاء...

سيعلمنا القدر - ونرجو أن لا يكون ذلك متأخرًا - أن المتعة تكمن في الطريق وليس في الوصول، وأن بإمكاننا صناعة سعادتنا مما هو مُتوفّر بين أيدينا، بدلًا من البحث عنها بعيدًا عنا، وأن العناية بالتفاصيل الصغيرة تشكل لوحة راحتنا الكبيرة، وأن الرضا أثمن ما تظفر به الروح.

وقد قيل: إنَّ للشدّةِ مُدّة.. ثُمّ يلقىٰ المرءُ سَعْدَه.



كيف نقرأ قصص القرآن الكريم والقصص النبوي وقصص السابقين؟

مما يستحيل علىٰ رب العالمين وأحكم الحاكمين أن يقص علينا في كتابه الكريم القصص بغرض التسلية والترفيه ودفع السآمة والملل والاكتئاب، حاشاه سبحانه، بل كانت هذه القصص كما قال جل شأنه: ﴿عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[يوسف: 111]، فإن ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يستحيل في حقه العبث، وما أنزل حرفًا في القرآن - لا أقول كلمة - إلا لحكمة جليلة، وما قدم ولا أخَّر كذلك كلمة إلا لفائدة عظيمة، وقد أنزل الله كتابه الكريم هدىً وموعظة للناس أجمعين، وقد أمر نبيه ﷺ بالاقتداء بالأنبياء قبله عليهم الصلاة والسلام، حيث قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ...﴾ [الأنعام: 90]، وأمرنا نحن المسلمين بالاقتداء بنبينا ﷺ حيث قال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ...﴾ [الأحزاب: 21]، بل قد أمرنا بالاقتداء بأفعال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين معهم من قبلنا، حيث قال سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ...﴾[الممتحنة: 4]، فلا ينبغي أن نقرأ هذه القصص العظيمة إلا بنية الاتعاظ والاعتبار والاتساء، وأن نحسن الظن

في الله تعالىٰ أنا إذا اتبعنا أثرهم أن ينجينا الله كما نجاهم، وأن يكرمنا كما أكرمهم، وأن ينصرنا كما نصرهم، وأن يستجيب دعاءنا كما استجاب لهم، وأن يرضينا كما أرضاهم، وأن يحبنا كما أحبهم.

وإليكم أيها القراء الكرام ميادين حسن الظن بالله تعالىٰ، وبعض قصص السابقين والمعاصرين، لنتعرف كيف أحسنوا الظن بربهم، وكيف كانت عاقبتهم.



ميادين حسن الظن
حسب أحوال الناس

1- الأَجــــل

ذكر الله تعالىٰ الموت في كتابه الكريم في إحدىٰ وخمسين موضعا، لكل منها دلالة وحكمة وموعظة، منها:

- أن الله خلق الموت ليختبر العباد، ويرىٰ اجتهادهم فيما هم مقبلون عليه من مراحل الآخرة التي تبدأ بالموت وتنتهي بإحدىٰ الدارين الجنة أو النار، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [المُلك: 2].

- وأنه سبحانه لم يجعل للموت أجلًا معينًا، فإذا بلغه العبد مات؛ بل قدره بحكمة ورحمة وأخفىٰ تقديره عن الخلق، فمنا من يموت صغيرًا، ومنا من يموت شابًّا، ومنا من يموت كبيرًا، ومنا من يموت مريضًا مبتلىٰ، ومنا من يموت وهو في كامل صحته، فلا نعلم نفس ماذا تكسب غدا ولا تدري نفس بأي أرض تموت، قال تعالىٰ: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الواقعة: 60].

- وأنه سبحانه قهر الخلق بالموت، فلا يقدر أحد منهم علىٰ الفرار منه قط، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة: 8]،

وقال تعالىٰ: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [النساء: 78].

- وأنه سبحانه جعل للموت مَلَكًا خاصًّا وكَّله به حين يأمره سبحانه، فيقبض روح من أراد من خلقه، قال تعالىٰ: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [السجدة: 11].

- وأنه سبحانه جعل الموت قطعا ونهاية لعمر الإنسان، ولم يجعله نهاية لنيته التي في قلبه، قال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النساء: 100].

- وأنه سبحانه جعل الموت والنوم أخوان، فالنوم وفاة صغرىٰ، والموت الوفاة الكبرىٰ، قال تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الزُّمَر: 42].

- وأنه سبحانه أنهىٰ بالموت فرص الإنسان للتوبة، ما لم يغرغر، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ [النساء: 18]، وقال تعالىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا

جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: 99- 100].

- وأنه سبحانه كتب الموت حتىٰ علىٰ أحب عباده إليه، وأقربهم منه، وأكرمهم عليه، أنبيائه عليهم الصلاة والسلام، قال تعالىٰ: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: 133].

- وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: 143- 144].

- وأن الله سبحانه جعل الموت راحة، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ، فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: «**الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَىٰ رَحْمَةِ اللهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ**»[1].

فالموت حق علىٰ جميع المخلوقات، كما قال ربنا جَلَّجَلَالُهُ:

(1) رواه البخاري، ومسلم.

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ.. ﴾ [آل عمران: 185]، ولا يؤخر الموت حيطة ولا حذر، كما قال ربنا جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [البقرة: 19]، كذلك لا يعجِّله إقدام أو شجاعة، كما قال ربنا جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأعراف: 34]، وقال ربنا جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [آل عمران: 168].

وكراهية الموت ليست كلها مذمومة، لأننا نخاف من الموت:

- إما لتقصير وغفلة فلا نحب أن نلقىٰ الله علىٰ هذه الحال، وقد قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**».

فقَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ: «**لَيْسَ ذَاكِ، ولكنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مما أمامه، فكره لِقَاءَ اللهِ وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**».

- وإما نكره الموت لفراقنا أحبة كانوا أعوانًا لنا علىٰ الخير وكنا نحبهم ونتصبر بهم علىٰ نكد الدنيا، فهذا عمر بن عبد العزيز لما مرض مَرضه الَّذِي مَاتَ مِنْهُ وَقد مَاتَ أعوانه، سهل أَخُوهُ وَعبد الْملك ابْنه

ومزاحم مَوْلَاهُ، قَامَ حبوًا إِلَىٰ شنٍّ مُعَلّق فَتَوَضَّأ مِنْهُ فَأَحْسن الْوضُوء ثُمَّ أَتَىٰ مَسْجده فصلىٰ رَكْعَتَيْنِ ثمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّك قد قبضت سهلًا وَعبد الْملك ومزاحمًا، وَكَانُوا أعواني علىٰ مَا قد علمت (يقصد علىٰ الطاعة والخير) فَلم أزدد لَك إِلَّا حبًا وَلَا فِيمَا عنْدك إِلَّا رَغْبَة فاقبُضْني إِلَيْك غير مضيع وَلَا مفرط.

ومن تأمل قصص الموت وجد عجبًا وازداد يقينًا:

فهذا رجل كان علىٰ متن العبَّارة المصرية التي تعرضت لحادث جعل ركابها يتسابقون في الهروب منها قبل أن تغرق بهم، حتىٰ كان بعضهم يرمي بنفسه في البحر وإن لم يكن يحسن السباحة، والوضع خطير واشتعلت النيران بالعبَّارة، وقوارب النجاة عددها محدود، وقد فقدوا إشارات اللاسلكي فلم يتمكنوا من إرسال استغاثة، وكان هذا الحادث في الظلام، ورأىٰ الناس الموت بأعينهم، ومات بالفعل ركاب كثيرون ما بين رجال ونساء وأطفال، ولم يكتب الله النجاة إلا لعدد محدود من الركاب.

كان من بين هؤلاء الناجين شاب، استطاع بفضل الله أن يصل لبر الأمان، وأخذوه أناس وأوصلوه إلىٰ بلدته، وهو في الطريق يحمد الله علىٰ نجاته من موت محقق، ولا يغيب عن عقله رفقاؤه الذين فقدهم في البحر، ولا غاب عن عينه هؤلاء الذين ماتوا حرقًا، والذين ماتوا غرقًا، وقد أصابت الرجل غصة شديدة، وألم يعصر قلبه، بسبب هذه

الفاجعة العظيمة، وأيضًا كان الشوق له نصيبه في قلبه، شوق للقاء أهله بعد ما سمعوا أخبار هذه الحادثة، وبينما أهله مترقبون بين قلق وخوف ورجاء أن يكون ولدهم ممن نجا، إذ رأوه وهو ينزل من السيارة ويقبل عليهم، فغمر البكاء عيونهم من الفرحة، وابتهج الجيران وتبدد الخوف والأحزان، وبينما يمر الشاب ليقطع الشارع الذي يفصل بين مكان نزوله وبين بيت أهله إذ أقبلت سيارة مسرعة فصدمته بقوة حتىٰ أردته قتيلًا.... إنا لله وإنا إليه راجعون.. مات الشاب.. مات الشاب الذي نجا من موت محقق، ليموت بعد ذلك بساعات.. كان ملك الموت ينتظره في مكان محدد وساعة محددة، لم يكن ينتظره عند العبَّارة، لأن أجله لم يكن قد حان، بل كان ينتظره عند بيته، ليراه أهله قبل موته، وليتمكنوا من تغسيله ودفنه، وتشيعه والصلاة عليه، والدعاء له عند قبره وقتما شاءوا.

ألا يكفيهم هذا ليحسنوا الظن بربهم أنه أخَّر موتَ ولَدِهم لهذه الحكمة وهذه الأسباب، أليس أفضل وأسكن لقلوبهم من أن يكون ممن ماتوا في العبارة حرقًا، أو أن يكون قبره قاع البحر، فلو قُدِّر غير هذا لَتَمنَّوا علىٰ الله أن يرزقهم نظرة واحدة لِولَدِهم قبل أن يموت، فها قد رزقهم الله تلك النظرة قبل أن يسألوها رحمةً بهم، كيف لا نحسن الظن بالله بعد هذا؟! والله المستعان.

إن حكمة اللطيف الخبير قد لا نحيط بها علمًا إلا بعد وقوع

المصيبة، لأجل ذلك يجب أن يوطِّن العبد نفسه علىٰ تقبل البلاء والصبر عليه والتسليم للقدر والرضىٰ بقضاء الله، فقضاؤه كله خير سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

ماذا لو مات الولد وأمه؟!!

هذه القصة شهدتُ أحداثها بنفسي...

كان للحاج أبي محمد و زوجته ثلاثة أولاد وبنتان، وقد بسط الله لهم في الرزق، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، ومع ذلك لم يكونوا من عباد الله الشاكرين، بل كانوا يحاربون الله بنعمه عليهم، ويعصون الله ليل نهار، ولم تكن أحوالهم مستقيمة، بل كان سوء الخلق عنوانًا لحياتهم، وللأسف الشديد كانت هذه سمعتهم وصفتهم التي كانوا يعرفون بها بين الناس، ولم يقف الأمر عند سوء الخلق مع الناس من تكبر واستعلاء وسب وشتم، بل وصل بهم الأمر أن ساءت أخلاقهم مع خالقهم و ولي نعمتهم فكانوا يسبون الدين نهارًا جهارًا أمام الناس ولا يستحيون ولا يخافون، وقد أمهلهم الله تعالىٰ سنين، حتىٰ كبر محمد وهو أكبر أولادهم، وصار شابًا يافعًا، وجاءت ساعة الاختبار والامتحان..

كان محمد شابًا طائشًا مندفعًا كحال الشباب من نفس جيله، وفي إحدىٰ المشكلات والمشادات المعتادة بين أهل البيت؛ تشاجر مع أمه وأخته الكبرىٰ وتعالت أصواتهم وأغضبهم محمد بشدة حتىٰ وصل الأمر أن دعوا عليه: اذهب... ربي لا يُرْجِعك.

بينما يسير ولدهم محمد بسيارته بسرعة جنونية كعادته إذ انقلبت به السيارة وظلت تنقلب به كثيرًا حتىٰ تحطمت و... ومات محمد ولم يرجع إلىٰ بيته، وكأن الله استجاب دعاءهم

لا أعرف من أوصل الخبر لأهل البيت؟ ولا أعرف كيف أوصله لهم؟!!

لكن مذ عرفوا خبر موت محمد وهم لا يزالون يصيحون ويصرخون ويدعون علىٰ أنفسهم، تقول الأم: قتلت ابني، وتقول الأخت: قتلت أخي، وأبو محمد يقول: لا.. لا.. محمد لم يمت، لا تقولوا مات، يقول هذا وهويسب الناس ويسب الدين، وينظر إلىٰ السماء نظرة سخط وغضب وهو يقول بصوت مرتفع ملئ بالكراهية: لماذا ابني يا رب؟! لماذا تفعل هذا معي؟! كيف تفعل هذا معي؟!

وأدخلوه إلىٰ الغسل بصعوبة بالغة بسبب شتمه وسبابه لكل من يحاول أن يدخله غرفة الغسل، وظل يدفع الناس بيديه ويتوعدهم، حتىٰ تدخل إخوانه وأهله وأدخلوا الولد بعد مشقة شديدة، وتم الغسل والحمد لله وكفنوا محمد وخرجوا يحملون الجنازة إلىٰ المسجد ليصلىٰ عليه، ولم يقوىٰ أبو محمد علىٰ المشاركة في حمل الجنازة بسبب انهياره التام وعدم تصديقه لما حدث، حتىٰ إذا أدخلنا الجنازة المسجد والعيون ترقب أبا محمد ليروا هل سيستطيع الصلاة علىٰ ابنه أم لا؟! إذ فاجأنا بنظره إلىٰ السماء ويقول بغضب شديد مخاطبًا رب العزة: ماذا تكون أنت؟

أنت...- يريد أن يسب الله سبحانه- فرأيت أحد الحضور وهو يقفز عليه ويضع يده علىٰ فِيّ أبي محمد ليسكته ويمنعه من هذا التهور والجرأة الشديدة علىٰ الله، وأخذ يوبخه بصوت مرتفع داخل المسجد وينصحه بقسوة، ويهدده بإخراجه من المسجد إن لم يتأدب مع الله، ويصمت حتىٰ نستطيع أن نصلي علىٰ ولده، فأمسك أبو محمد عن الكلام، لكنه لم يتوقف عن البكاء والنحيب حتىٰ انتهينا من الصلاة، وخرجنا بالجنازة إلىٰ المقابر من أجل دفن محمد، وطوال الطريق لم يتوقف أبو محمد عن مناداة ابنه وهو يقول بصوت حزين يكسر قلب من سمعه: يا محمد تركتني ولم أفرح بك.. يا محمد تركتني قبل أن أزوجك.. يا محمد لا أستطيع العيش بدونك.. يا محمد لم يبق لشئ طعم بعدك، وخلال هذا يحاول الناس أن يخففوا عنه، وينصحوه بذكر الله حتىٰ يهدأ ويطمئن قلبه ويسلم لقضاء ربه، لكن دون جدوىٰ، وكأنه لا يسمعهم، ولم يستطع أن يشارك في حمل الجنازة أيضًا بسبب توتره وانهياره، حتىٰ إذا وصلنا المقابر و أردنا وضع محمد في قبره؛ إذ ناداه أبوه النداء الأخير قائلًا له: خلاص يا محمد لن أراك مرة أخرىٰ؟ مع السلامة يا ابني مع السلامة يا محمد.. وأهلنا عليه التراب ورجعنا لنساعد أبا محمد في ترتيبات العزاء.

وبعد ثلاثة أيام بالضبط، ولم يجمع أبو محمد شتات نفسه بعد، ولم يفق من مصيبته في فقد ابنه؛ إذ حلت به مصيبة أخرىٰ وهي موت زوجته أم محمد.. فلا إله إلا الله.

لكن هذه المرة كانت مختلفة تمامًا عن الأولىٰ، فقد كان أبو محمد هادئًا صامتًا، لم تخرج من فمه كلمة تغضب الله، ولم يكن علىٰ لسانه إلا قول: لا إله إلا الله إنا لله وإنا إليه راجعون.

وتم الغسل والتكفين سريعًا ويسيرًا، وبينما نحن بالطريق بالجنازة إلىٰ المقابر، ونحن نتناوب علىٰ حمل الجنازة، وفي نفس الوقت نرقب أبا محمد، فوالله وجدناه صابرًا، وعلىٰ وجهه آثار الحزن والانكسار، والدموع لا تتوقف من عينيه، ولم يتوقف عن قول: لا إله إلا الله.. وسبحان الله.. لا إله إلا الله.. وسبحان الله، وظل هكذا طوال الطريق حتىٰ وصلنا للمقابر.

وقفنا كلنا ننتظر وصول جثمان أم محمد للمكان المحدد لنقوم بدفنها، ومن تقدير الله تعالىٰ أنا وجدنا قبرًا لأم محمد بجوار قبر محمد، ولما حملناها لننزلها القبر، اخترق أبو محمد الصفوف بهدوء حتىٰ وقف علىٰ حافة القبر، وأخذ ينظر إلىٰ قبر محمد مرة، وإلىٰ قبر أم محمد مرة، ثم نادىٰ علىٰ ابنه محمد بصوت يملؤه مشاعر الأسىٰ والحزن والشوق مختلطًا بدموعه ونحيبه: يا محمد... أمك لم تحتمل فراقك، فأتت إليك... أتت إليك وتركَتْني كما تَركْتَني أنت قبلها..

ثم رجعنا مع أبي محمد وقد تحول تحولًا كبيرًا، حتىٰ أصبح شخصًا آخر تمامًا عن الشخص الذي نعرفه، أصبح بفضل الله محافظًا علىٰ الصلوات، بل يحرص علىٰ رفع الأذان للصلوات الخمس في

مسجد قريب من بيته، وتحسنت أخلاقه، وكثرت عباداته، وحرص علىٰ القرآن الكريم تلاوة وتعلُّمًا، وأخذ الله تعالىٰ بيده فأصبح من الصالحين، والله تعالىٰ حسيبه، ولا نزكي علىٰ الله أحدًا، ليس هو فحسب بل أقبل أخواته وإخوانه أيضًا علىٰ الله وتابوا إليه وأصبحت الأسرة أفضل حالًا وأحسن إيمانًا، فنسأل الله أن يثبتهم علىٰ ما هم فيه من الخير، وأن يرزقنا وإياهم حسن الخاتمة.

سبحان الله... كانوا في شقاء وبلاء ومعصية وبُعد عن الله..

كم من ناصحٍ نصح، و من واعظٍ وعظ، و كم من مذكر بالله، و كم من إشارات، وكم من بلاءات، فلم ينتصحوا ولم يتعظوا ولم يتذكروا، كانت حالهم كما قال الله في كتابه: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [التوبة: 126]، فابتلاهم الله بموت اثنين؛ كي يتوب الباقون وينصلح حالهم ويستقيموا علىٰ أمره، فكان كذلك والحمد لله رب العالمين.

لعل دعواتُ أبي محمد الصالحة ودعوات أهل البيت لمحمد وأمه، وصدقاتُهم عنهم؛ أنفع لهم في الآخرة، وأثقل في ميزانهم... فقدت الأسرة اثنين في الدنيا... نعم، عسىٰ الله أن يجمعهم في الجنة وهو أرحم الراحمين.

فلنحسن الظن بالله، فما يقضي ربي إلا الخير.

ماذا لو مات الوالد ولم يترك لأولاده شيئًا؟

قصة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وأولاده... وأمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك وأولاده... وماذا حصل لهم؟!!!!

قيل لعمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو في مرض موته: تَدَارَكْ نَفْسَكَ، فَقَالَ: وَاللهِ لَوْ أَنَّ شِفَائِي أَنْ أَمْسَحَ شَحْمَةَ أُذُنِي، أَوْ أُوتَىٰ بِطِيبٍ فَأَشُمَّهُ مَا فَعَلْتُ.

فَقِيلَ لَهُ: هَؤُلَاءِ بَنُوكَ، وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ، أَلَا تُوصِي لَهُمْ بِشَيْءٍ؛ فَإِنَّهُمْ فُقَرَاءُ؟ فَقَالَ: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف: 196]، وَاللهِ لَا أُعْطِيهِمْ حَقَّ أَحَدٍ، وَهُمْ بَيْنَ رَجُلَيْنِ؛ إِمَّا صَالِحٌ فَاللهُ يَتَوَلَّىٰ الصَّالِحِينَ، وَإِمَّا غَيْرُ صَالِحٍ، أَفَأَدَعُ لَهُ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَىٰ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَأَكُونَ شَرِيكَهُ فِيمَا يَعْمَلُ بَعْدَ الْمَوْتِ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ.

ثُمَّ اسْتَدْعَىٰ بِأَوْلَادِهِ فَوَدَّعَهُمْ وَعَزَّاهُمْ بِهَذَا، وَأَوْصَاهُمْ بِهَذَا الْكَلَامِ، ثُمَّ قَالَ: انْصَرِفُوا عَصَمَكُمُ اللهُ، وَأَحْسَنَ الْخِلَافَةَ عَلَيْكُمْ.

قَالَ راوي القصة: فَلَقَدْ رَأَيْنَا بَعْضَ أَوْلَادِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَحْمِلُ عَلَىٰ ثَمَانِينَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَكَانَ بَعْضُ أَوْلَادِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ مَعَ كَثْرَةِ مَا تَرَكَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ يَتَعَاطَىٰ وَيَسْأَلُ مِنْ أَوْلَادِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، لِأَنَّ عُمَرَ وَكَلَ وَلَدَهُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَسُلَيْمَانُ وَغَيْرُهُ إِنَّمَا يَكِلُونَ أَوْلَادَهُمْ إِلَىٰ مَا يَدَّعُونَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ الْفَانِيَةِ.

فمن ترك أولادًا خلفه، ولم يدخر لهم شيئًا... فيكفيه أن يدخر لهم الله تعالىٰ، فوالله لا أفضل من عبد ترك لأولاده تقوىٰ الله، ألم يقل الله تعالىٰ: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾[النساء: 9]، وكان بعض السلف يزيد في صلاته ويكثر منها، ويقول لابنه: إنما أفعل هذا من أجلك يا بني.

وقد حكىٰ الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن الكريم في سورة الكهف، كيف سخر موسىٰ والخضر عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ من أجل غلامين يتمين ليس لهما أحد إلا الله، ليبنيا لهما جدارًا يحفظ كنزهما حتىٰ يكبرا ويستخرجاه بأنفسهم، وذكر السبب وراء ذلك، أن أباهم كان صالحًا.

فليحرص الأباء علىٰ التقوىٰ والصلاح والاستقامة قدر ما يستطيعون ويحسنوا الظن بربهم، فليس أخير ولا أفضل ولا أنفع لهم من هذا.

بارك الله لنا ولكم في أولادنا، ورزقنا وإياهم الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ، ومنَّ علينا بحسن الخاتمة.

ولنحسن الظن بالله فما يقضي ربنا إلا الخير.

ماذا إذا تمنى الأب موت ابنه؟!!

قال محمد بن خلف: كان للإمام إبراهيم الحربي ابن، وكان له إحدىٰ عشرة سنة، قد حفظ القرآن ولقنه من الفقه شيئًا كثيرًا، قال: فمات فجئت أُعزِّيه، فقال لي: إنْ كنتُ أشتهي موت ابني هذا، قَالَ:

قلت: يا أبا إِسْحَاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا فِي صبي قد أنجب، ولقَّنتَه الحديث والفقه؟!

قَالَ: نعم، رأيتُ فِي النوم كأن القيامة قد قامت، وكأن صبيانًا بأيديهم قلال فيها ماء يستقبلون الناس يسقونهم، وكان يومًا حارًا شديدًا حرُّه، فقلت: لأحدهم اسقني منهذا الماء، قَالَ: فنظر إلي وقال: لست أبي، فقلت: إيش أنتم؟ فقال: نحن الصبيان الذين مِتْنا فِي دار الدنيا فخلفنا آباءنا، نستقبلهم فنسقيهم الماء، قَالَ: فلهذا تمنيتُ موته.

بالطبع لم يكن إبراهيم الحربي ساذجًا ولا أحمقًا ليتمنىٰ موت ابنه، الذي كان يأمل أن يكون عالمًا كبيرًا يستعمله الله وينفع به الناس، كيف ذلك وهو أحد تلاميذ الإمام أحمد بن حنبل ذلك العالم الرباني إمام الناس في عصره وإمام أهل السنة، وإنما كان إبراهيم الحربي ينظر إلىٰ عاقبة الأمور، كان ينظر إلىٰ الآخرة التي هي خير من الدنيا وأبقىٰ، فهو يعلم أن الآباء إذا صبروا علىٰ موت أبنائهم الصغار الذين لم يبلغوا الحلم، فإن أبناءهم سيأخذون بأيديهم ويدخلون الجنة سويًا، كما أخبر بذلك النبي ﷺ، فلما رأىٰ هذه الرؤيا أسرَّها في نفسه ولم يحدث بها أحد، فلما مات ابنه بعدها، أحسن الظن بربه أنه سيكون له ولابنه من الأجر مثل ما كان في الرؤيا، وأنه وابنه سيكونان بإذن الله من أهل الجنة.

فإذا كان الأمر كذلك... كيف يموت لأحدنا أطفالٌ صغارٌ ثم لا نحسن الظن بالله تعالىٰ.

إنَّ من رحمة الله بعباده أنه أحيانًا يُهيئهم لما سيصيبهم، حتىٰ إذا وقعَ قدره سبحانه عليهم، وجدوا قدرةً علىٰ الصبر والتجلد، برؤيا يراها العبدُ في منامه، بخطبة يسمعها في مسجد تُغيِّر نظرته للحياة، بمشهد يراه في الشارع فيقلب تفكيره رأسًا علىٰ عقب، بقصة يقرؤها في كتاب يتعظ منها ويعتبر، وتحمله علىٰ حسن الظن بربه والثقة في حكمته أنه ما أراد به إلا خيرًا.

ماذا [illegible] هما [illegible] الأب والإبن؟!!

وهذا التابعي الجليل صِلَة بن أَشْيَم العدوي، كان في غزوة في سبيل الله ومعه ابن له، فقال: أي بُني تقدَّم فقاتل حتىٰ أحتسِبَك، فتقدم الشاب فقاتل حتىٰ قُتِل، فاجتمعت النساء عند امرأته معاذة العدوية، فقالت معاذة: مرحبًا إنْ كنتُنَّ جئتُنَّ لِتُهَنِّئنني فمرحبًا بِكُن، وإن كنتن جِئْتُنَّ لغير ذلك فارْجِعن... ما شاء الله قد بورك والله في أهل هذا البيت

إن العبد إذا مات في سبيل الله فهي شهادة، وهي منزلة يرجوها المسلمون لما فيها من الثواب الجزيل والأجر العظيم.

وإذا مات العبد ظلمًا وعدوانًا بسبب (دينه أو ماله أو أهله) فهي أيضًا شهادة، قال رسول الله ﷺ: «**من مات دون أهله فهو شهيد**»، وقال ﷺ: «**من مات دون ماله فهو شهيد**»، وقال ﷺ: «**من مات دون دينه فهو شهيد**».

بعد كل هذا العطاء الذي ينتظر الشهيد... كيف نحزن علىٰ موتانا،

وكيف لا نحسن الظن بالله سبحانه؟!!... فوالله ما عند الله خيرٌ وأبقىٰ.

ماذا إذا مرض الطفل ثم مات؟!

قال أنس بن مالك: إن أبا طلحة كان له ابن يكنىٰ أبا عمير، وكان النبي ﷺ يقول: «**ياأبا عمير ما فعل النغير؟**» قال: فمرض وأبو طلحة غائب في بعض حيطانه، فمات الصبي، فقامت أم سليم فغسلته وكفنته وحنطته وسجت عليه ثوبًا، وقالت: لا يكون أحد يخبر أبا طلحة حتىٰ أكون أنا الذي أخبره، فجاء أبو طلحة متعبًا وهو صائم، فتطيبت أم سليم وتزينت له، وجاءته بعشائه فقال: ما فعل أبو عمير؟ قالت: هو أسْكن ما كان، قال: فتعشىٰ، وأصاب منها ما يصيب الرجل من أهله، فقالت: يا أبا طلحة! أرأيت أهلَ بيتٍ أعاروا أهل بيت عارية، فطلبها أصحابُها، أيردونها أم يحبسونها؟ فقال: بل يردونها عليهم، قالت: فاحتسب أبا عمير.

قال: فانطلق كما هو إلىٰ النبي ﷺ حتىٰ أخبره بخبر أم سليم، فقال: «**بارك الله لكما في غابر ليلتكما**».

قال: فحملت بغلام، حتىٰ إذا وضعته وكان يوم السابع، قالت لي أم سليم: ياأنس اذهب بهذا الصبي وهذا المكتل - وفيه شيء من عجوة - إلىٰ النبي ﷺ حتىٰ يكون هو الذي يحنكه ويسميه، قال: فذهبتُ به للنبي ﷺ ، فقال: أمعه شيء؟ قلت: نعم، تمرات، فأخذها النبيّ ﷺ فمضغها ثمّ أخذ من فِيهِ فجعله في فِيِّ الصبيّ، وحنّكه، وسمّاه عبد الله.

قال أحد الأنصار ويُدعىٰ عباية: فلقد رأيت لـذلك الغلام سبعة بنين كلّهم قد ختم القرآن.

الله أكبر... ما هذا الكرم وما هذا العِوَض... فلنحسن الظن بالله تعالىٰ مهما أصابنا ومهما فقدنا، فليس أكبر ولا أفضل منه عوضًا، سبحانه وبحمده.

موت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

حتىٰ موت النبي ﷺ وإن كان من أشد البلاء وأكبره علىٰ أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وعلىٰ الأمة بعدهم، إذ وجوده ﷺ بينا أمان وبركة ومصدر لكل خير، لذلك كان موته ﷺ أعظم المصائب، كما قال: «**من أصيب بمصيبة فليذكر مصابه بي، فإن فقدي أعظم المصائب**».

ولما كان قضاء الله كله خير ولا يقدر إلا الخير، وإن كان ظاهر القضاء بلاء، فينبغي أن نحسن الظن بالله تعالىٰ حتىٰ عندما قبض نبيه ﷺ لسببين:

الأول: أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ كما قالت أم أيمن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

الثاني: أن هذا سبب كبير لرحمة الأمة يوم القيامة، فقد قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا، فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ عَذَّبَهَا وَنَبِيُّهَا حَيٌّ، فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ، فَأَقَرَّ عَيْنَهُ بِهَلَكَتِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ**».



فقد مات نبينا ﷺ قبلنا، وبقيت أمته بعده تنتظر الرحمة من ربها، فكيف لا نحسن الظن بالله؟!

عندما نموت نحن:

وعلىٰ كل حال فالعبد مأمور عند حضور الأجل أن يحسن الظن بربه، نعم.. مأمور بذلك، غير مخيَّر، لأن الشيطان أشد ما يجتهد عند حضور أجل الإنسان، فيحاول أن يملأ قلبه باليأس مِن رحمة الله، فحينها ينبغي للعبد أن يقابل هذا الهجوم بحسن الظن في الحي القيوم، وأن يرد ويصد هذه المحاولات بحسن الظن في رب البريات واسع الرحمات.

فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «**لا يموتَنَّ أحدُكم إلا وهو يحسن الظن بالله** عَزَّوَجَلَّ».

وهذا واثِلَةُ بن الأَسْقَع دخل علىٰ أبي الأسود الجُرَشي في مرضه الذي مات فيه، فسلَّم عليه وجلس، فأخذ أبو الأسود يمين واثلة، فمسح بها علىٰ عينيه ووجهه، فقال له واثلة: واحدةٌ أسألك عنها، قال: وما هي؟، قال: كيف ظنك بربك؟، فأومأ أبو الأسود برأسه، أي حسن.

فقال واثلة: أبشر؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله** عَزَّوَجَلَّ: **أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء**». وهذا أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحدث أنَّ النبي ﷺ دخل علىٰ شاب وهو في الموت، فقال: «**كيف تَجِدُكَ؟**» قال: والله يا رسول الله إني أرجو الله، وإني أخاف ذنوبي، فقال

رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمَنه مما يخاف**».

وفي كتاب المحتضرين لابن أبي الدنيا، قال حاتم بن سليمان: دخلنا علىٰ عبد العزيز بن سليمان وهو يجود بنفسه، فقلت: كيف تجدك؟ قال: أجدني أموت، فقال له بعض إخوانه: علىٰ أية حال رحمك الله؟ فبكىٰ، ثم قال: ما نعوِّل إلا علىٰ حسن الظن بالله، قال: فما خرجنا من عنده حتىٰ مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



2- الــرزق

الرزق مقسوم محدد لابد وسيأتيك كاملًا بلا نقصان، فلا يزيد بالحرص والسعي، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [المُلك: 15]، وقال ﷺ: «**أيها الناس اتقوا الله و أجملوا في الطلب فإن نفسًا لن تموت حتىٰ تستوفي رزقها و إن أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب..**»[1].

كذلك لا ينقص بالمعصية، بل قد يؤخر ويتعسر علىٰ العبد فقط وتمحق بركته، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأعراف: 58]، وفي الحكمة: أن العبد يُحْرم الرزق بالذنب يصيبه.

كذلك لا ينقص بالكسل، قال ﷺ: «**لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت، لأدركه رزقه كما يهرب من الموت**»[2].

بسط الرزق وتضيقه:

أما بسط الرزق وتضييقه فكل ذلك من الله تعالىٰ، وبقضائه

---

(1) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني.

(2) «حلية الأولياء» للأصفهاني، وصححه الألباني في «الصحيحة».

وقدره، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١﴾ [الحجر: 21].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٦٢﴾ [العنكبوت: 62].

وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢﴾ [الزُّمَر: 52].

وليس أحد من البشر يستطيع أن يغير من رزقه الذي قدره الله شيئًا، ولكن يجب أن يعلم أنه سبحانه يجري الرزق علىٰ عباده بحسب ما قدر من أسباب لذلك، قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝١٧﴾ [العنكبوت: 17].

وهذه مريم بنت عمران، أمرها الله تعالىٰ بمباشرة أسباب الرزق فقال تعالىٰ: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۝٢٥﴾ [مريم: 25].

فإذا وعينا هذه النصوص تأكد لدينا أن تقدير الرزق تابع لحكمة الله ومشيئته وعلمه، قال تعالىٰ: ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ۝٢٧﴾ [الشورىٰ: 27].

قال ابن كثير: أي ولكن يرزقهم من الرزق ما يختاره مما فيه صلاحهم وهو أعلم بذلك، فيغني من يستحق الغنىٰ ويفقر من يستحق الفقر، فإن من عباد الله من لا يصلحه إلا الغنىٰ ولو افتقر لأُفسِدَ عليه

دينُه، وإن من العباد من لا يصلحه إلا الفقر ولو اغتنىٰ لأُفسِد عليه دينُه.

وقال النبي ﷺ: «... **وارض بما قسم الله لك؛ تكن أغنىٰ الناس**»[1].

لٰكن الله أمر بالسعي الحلال وحثَّ علىٰ الاجتهاد والدعاء، وكلٌّ ميسرٌ لما خُلِق له، فينبغي للعبد أن ينشغل بما هو مأمور به ويحسن الظن بربه سبحانه، ألم يقل الله تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ [هود: 6].

ألم يقل الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ...﴾ [الروم: 40].

ألم يقل رسول الله ﷺ: «**إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتىٰ تستوفي رزقها وأجلها...**».

ألم نسمع لقوله تعالىٰ: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ٨﴾ [الضُّحىٰ: 8].

ألا يطمئنا قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨﴾ [التوبة: 28].

فلْيوصي بعضُنا بعضاً، ولْيُذكِّر بعضُنا بعضا بهذه الآية الكريمة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق: 2- 3].

---

(1) رواه الترمذي.

وإليكم هذه القصة المشوقة الجميلة:

دخل عبد الرحمن بن عوف المدينة فقيرًا معدمًا، لا دِرْهم له ولا متاع، لا يَمْلك إلاَّ ثيابَه الَّتي عليْه، فآخَىٰ النَّبيُّ ﷺ بيْنه وبين سعْد بْن الرَّبيع، فقال له سعْد بن الرَّبيع، بِحفاوةٍ إيمانيَّة صادقة، وكرم عربي أصيل: «**يا عبدالرحمن، أنا أكثرُ أهل المدينة مالًا، فانظُرْ شطْر مالي فخُذْه، وتَحتي امرأتانِ، فانظرُ أيَّتهنَّ أعجب لك حتَّىٰ أُطلِّقَها لك وتتزوَّجها**». فقال له الشَّريف العفيف: «**بارك الله لك في أهْلك ومالك، دلُّوني علىٰ سوق المدينة**».

هنا بدأت رحلة حسن الظن لبطل قصتنا...

دخل ابنُ عَوفٍ سوقَ المدينة وعمره ثلاثٌ وأربعون سَنَة، وكان صنَّاع السّوق وسَمَاسِرته من يهود بني قينقاع، فلم يثْنِ عزيمتَه، ولم يفتَّ في همَّته هذا الاحتكارُ اليهودي، بل زاحمَ في السُّوق، واشترىٰ وباع، وربح وادَّخر، وهكذا سارتْ به الأيَّام، وهو يكدح في العمل وطلَب الحلال والعفاف، كان يتحرك وقلبه مليء بحسن الظن.

ماذا كان عاقبة حسن ظنه؟

رآه النَّبيُّ ﷺ بعد مدَّة، في هيْئةٍ حسنة، وعليه أثر الطِّيب، فقال: «**ما هذا يا ابنَ عوف؟**»، قال: يا رسولَ الله، تزوَّجتُ امرأةً علىٰ وزْن نواةٍ من ذهب، قال: «**باركَ الله لك، أَوْلِم ولو بِشاة**».

استغنىٰ بالله سبحانه، فأغناه الغنىٰ عمن سواه.

سأله أحد أصحابه: بِمَ أدركتَ من التِّجارة ما أدْركتَ؟ فقال: **«لأنِّي لم أشترِ معيبًا، ولم أُرِد ربحًا كثيرًا، والله يبارك لِمَنْ يشاء»**.

وبارك الله لابنِ عوف في تِجارتِه، فكان لا يشتري شيئًا إلاَّ ربِح فيه، حتَّىٰ قال عن نفْسِه مُتَعجِّبًا: **«لقد رأيتُني لو رفعتُ حجرًا، لوجدتُ تَحتَه فضَّة وذهبًا»**.

وهكذا أصبح الفقيرُ المُعْدم في سنواتٍ معْدودة مِن أثْرياء أهل المدينة، ومن أصحاب الأموال الضَّخْمة والأرْصدة العالية.

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان:

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يهنأ إلاَّ بإنفاق المال، سرًّا وجهرًا، في العُسْر واليُسْر، حتَّىٰ ملك القُلوبَ بِماله، فشاطرَه بالانتِفاع في هذا المال أهلُه وأقاربُه، وإخوانُه ومجتمعُه، حتَّىٰ قيل: كان أهلُ المدينة عيالًا علىٰ عبدالرحمن بن عوف: ثلُثٌ يُقْرِضهم مالَه، وثلُث يقضي دَينهم، ويَصِلُ ثلثًا.

سمع النبيَّ ﷺ يدْعو النَّاس للصَّدقة، لكي يُجهِّز سريَّة، فذهب إلىٰ بيْتِه مسرعًا ثُمَّ عاد، ونثَر بين يدَي النَّبيِّ ﷺ أربعة آلاف دينار، هي نِصْف مالِه، فدعا له النبيُّ ﷺ في ماله.

قدَّم يومًا لجيوش الإسلام خمسَمائةِ فرسٍ، ومرَّة ألفًا وخمسمائة راحلة.

باع يومًا أرضًا بأرْبعين ألف درهم، فقسمها في فقراء أقاربه، والمهاجرين وأمَّهات المؤمنين.

في غزوة تَبُوك، حينما كان الحاجةُ للمال أكثرَ من الرجال، أنفقَ ابنُ عوف إنفاق مَن لا يخْشىٰ الفقر.

من الذي قال أن الله لا يغنىٰ؟!.. من الذي قال أن الله لا يسد ديون العباد؟!. من الذي قال أن الله لا يغنىٰ من الفقر؟!!.. من الذي افترىٰ علىٰ الله هذه الفرية؟!

وإليكم قصة أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ العجيبة:

كان أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان فقيرًا من أهل الصُّفَّة، وكان أهل الصفة أضياف الإسلام، هاجروا من بلادهم وتركوا أوطانهم وأموالهم وما يملكون، لله ورسوله ﷺ، فلم يكن لهم مبيت ولا مُعيل، فكانوا ينامون بالمسجد، بل كان أحدهم من شدة الجوع أحيانًا يغمىٰ عليه وهو في الصف يصلي، وكان النبي ﷺ يصبرهم ويقول لهم: لو تعلمون ما لكم عند الله، لأحببتم أن تزدادوا فاقة وفقرًا، واسمع ما يحكيه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن نفسه:

أَللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَىٰ الْأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَىٰ بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَىٰ طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ

ﷺ، فتبسَّمَ حِينَ رَآني، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي، ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَبَا هِرٍّ**». قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**الْحَقْ**». ومضى فاتَّبعته، فَدَخَلَ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ، فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: «**مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ**». قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةُ، قَالَ: «**أَبَا هِرٍّ**». قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**الْحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي**». قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الْإِسْلَامِ، لَا يَأْوُونَ عَلَى أَهْلٍ وَلَا مَالٍ وَلَا عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاءَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ، كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمَرَنِي، فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا، فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ، قَالَ: «**يَا أَبَا هِرٍّ**». قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**خُذْ فَأَعْطِهِمْ**». قَالَ: فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ: «**أَبَا هِرٍّ**». قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ**». قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ:

«اقْعُدْ فَاشْرَبْ». فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: «اشْرَبْ». فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: «اشْرَبْ». حَتَّىٰ قُلْتُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، قَالَ: «فَأَرِنِي». فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ، فَحَمِدَ اللهَ وَسَمَّىٰ وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ.

تأمل كيف كان حاله وما بلغ به من الحاجة والفقر، ثم تأمل معي هذا الموقف العجيب الذي يحكيه محمد بن سيرين:

كنَّا عندَ أبي هريرةَ وعليْهِ ثوبانِ ممشَّقانِ من كتَّانٍ، فتمخَّطَ في أحدِهما، ثمَّ قالَ: بخٍ بخٍ، يتمخَّطُ أبو هريرةَ في الْكتَّانِ، لقد رأيتني وإنِّي لأخرُّ فيما بينَ منبرِ رسولِ اللهِ ﷺ وحجرةِ عائشةَ منَ الجوعِ مغشيًّا عليَّ، فيجيءُ الجائي فيضعُ رجلَهُ علىٰ عنقي يرىٰ أنَّ بيَ الجنونَ، وما بي جنونٌ، وما هوَ إلاَّ الجوعُ.

بل صار يمتلك أرضًا و قد وسَّع الله عليه، فهذا حُمَيْدِ بنِ مَالِكِ بنِ خُثَيْمٍ، يقولَ:

كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي أَرْضِهِ بِالعَقِيْقِ، فَأَتَاهُ قَوْمٌ، فَنَزَلُوا عِنْدَهُ، فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَىٰ أُمِّي، فَقُلْ: إِنَّ ابْنَكِ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ، وَيَقُوْلُ: أَطْعِمِيْنَا شَيْئًا، فَوَضَعَتْ ثَلَاثَةَ أَقْرَاصٍ فِي الصَّحْفَةِ، وَشَيْئًا مِنْ زَيْتٍ وَمِلْحٍ، وَوَضَعَتْهَا عَلَىٰ رَأْسِي، فَحَمَلْتُهَا إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ، كَبَّرَ أَبُوهُرَيْرَةَ، وَقَالَ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَشْبَعَنَا مِنَ الخُبْزِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ طَعَامُنَا إِلَّا الأَسْوَدَيْنِ: التَّمْرَ وَالمَاءَ.

بل ورفع الله منزلته ومقامه بين الناس:

فها هو يحدث بنعمة الله عليه، أَنَّهُ صَلَّىٰ بِالنَّاسِ يَوْمًا، فَلَمَّا سَلَّمَ رَفَعَ صَوْتَهَ، فَقَالَ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ الدِّيْنَ قِوَامًا، وَجَعَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ إِمَامًا، بَعْدَ أَنْ كَانَ أَجِيْرًا لابْنَةِ غَزْوَانَ عَلَىٰ شِبَعِ بَطْنِهِ، وَحَمُوْلَةِ رِجْلِهِ.

بل كان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يستخلف أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ المدينة المنورة، وكان يعزل مروان بن الحكم ويستخلف أبا هريرة فيكون أميرًا علىٰ المدينة المنورة.

سبحان الله العظيم وسبحان مبدل الأحوال أبو هريرة الفقير من أهل الصفة الذي كان ينام في المسجد يصبح أميرًا علىٰ المدينة المنورة، ويصلي بالناس إمامًا، ويمتلك مالًا وأرضًا، فاللهم كما بدلت حال عبدك أبي هريرة من الفقر إلىٰ الغنىٰ، اكفنا بحلالك عن حرامك وأغننا بفضلك عمن سواك واجعلنا من الشاكرين كما جعلته من الشاكرين.

وهذا ربيعة بن كعب الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو من أهل الصفة أيضًا، كان يقول:

كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَقُومُ لَهُ فِي حَوَائِجِهِ نَهَارِي، أَجْمَعَ حَتَّىٰ يُصَلِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ فَأَجْلِس بِبَابِهِ، إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ أَقُولُ: لَعَلَّهَا أَنْ تَحْدُثَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَاجَةٌ.

ثم فتح الله تعالىٰ عليه من عطائه وخزائنه، وكما قال بنفسه: وجاءت الدنيا، حتىٰ صار له أرض بجوار أرض لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فكيف لا نحسن الظن بالله العظيم الكريم... وهو الذي يغني بعد فقر، ويُعِز بعد ذُل، ويقوِّي بعد ضعف.

ألم نقرأ قول الله تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[آل عمران: 26]، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحِجر: 21]؛ فإن الغنىٰ والعطاء بيد من له ملك الأرض والسماء، فلا يَغْتَني أحدٌ إلا بإذنه، ولا يُرزق أحدٌ إلا من عطائِه.

ودونكم هذه القصة المعبِّرة التي تحكيها إحدى النساء فتقول:

عشت وأنا صغيرة لفترة مع جدتي التي لم تنل قسطًا كافيًا من التعليم، لكن رزقها الله بدلًا من ذلك حِكَمًا فطرية عجيبة وإيمانًا عميقًا.

كانت تمر بالبيت أحيانًا ظروف اقتصادية صعبة، مثلما يحدث في كثير من بيوت الناس لأي سبب كان، مثل: ألا يستطيع خالي إرسال مال لها.

ولا أدري كيف كانت تدبر أمر البيت أثناء هذه الظروف إلىٰ أن تمر الأزمة بسلام؟!



لكن في يوم لا أنساه..

مرت جدتي بأزمة طاحنة مفاجئة لم تكن في الحسبان، حيث نزلت للسوق لتشتري بعض الحاجيات فضاع منها كيس نقودها، أو سرقه أحدهم.

فعادت للبيت ودخلت فورًا وهي شاردة نحو دولاب الملابس، لتخرج آخر ما تبقىٰ من نقود.

ولا أنساها حين تسمَّرت وهي تنظر للجنيهات القليلة الباقية في البيت كله، وأمسكت بها لدقيقة كاملة تنظر إليها وكأن نهر من الأفكار والحسابات المعقدة يمر بعقلها، وظهرت لأول مرة في عيني المرأة القوية دموع الحيرة والعجز.

ثم كأنها قررت حلًا مفاجئًا، فالتفتتْ إليَّ بحماسة وتصميم تطلب مني أن أساعدها فيما ستفعله، لكن ما طلبته كاد يصيبني بالجنون.

طلبت مني أن أنزل لشراء عشر بيضات وربع كيلو عدس، فظننتُ أنها ستطبخه لنا، ولكن..!!

أخذت تطبخ العدس في استغراق وإتقان، وتصاعدت رائحته الجميلة لتغمر البيت، وقامت بسلق البيض، وسخَّنت بعض أرغفة الخبز، ووضعت بعض الملح والفلفل في ورقة صغيرة، ثم أخذت كل هذا، ونزلت إلىٰ الشارع، وأعطته لبعض الفقراء في الحي.

كدتُ أجن.. فقد نفد ما عندنا من مال، وكدتُ أصرخ فيها: علىٰ الأقل كنتِ أعطِني بيضة منهم.

وكأنها قرأت ذلك في عيني المذهولة، فقالت في إيجاز وثقة كلمتين فقط:

(اصبري.. سترَيْن).

رجعنا البيت قبيل العصر، ولم يكن أمامنا إلا أن ننام لبعض الوقت، لكننا استيقظنا علىٰ صوت طَرْق مزعج لباب البيت، فإذا بولد ممن يبيعون في السوق يسألها: هل كيس الفلوس هذا لكي يا حاجة؟، كان سقط منها أمام محله، ولما حاول اللحاق بها تاهت منه في زحمة السوق، ولأنه شخص أمين فقد سأل الباعة حوله بعد نهاية السوق عمن يعرف بيت السيدة التي مواصفاتها كذا وكذا، والتي تأتينا كل أسبوع فأرشدته إحدىٰ البائعات.

ولم تمض ساعة.. حتىٰ ارتفع صوت طارق آخر، فإذا بصديقٍ لخالي عاد من سفر ليعطينا دَيْنًا عليه لخالي - كان قد اقترضه قبل السفر- مع هدايا وحلويات.

يومها قالت جدتي: (يا بنيتي.. اللقمة تزيح النِّقمة.. كل ما تضيق بك وتجدي نفسك في ضيق.. أطعمي فقيرًا أو محرومًا).

قلت لها ضاحكة: طيب كنا نتصدق بشيء آخر أحسن من

العدس، قالت: العدس من الطعام الذي ذكره ربُّنا في القرآن الكريم، وأيضًا أنا أعطيه للناس لأني أحبه.

قدِّمي للناس من اللقمة التي تحبينها.. يحلي ربُّكِ زادَكِ، ويفرج كربك.

كبرتُ فيما بعد، وعرفتُ التأصيل الشرعي لثقافة جدتي.

عرفت الحديث القدسي: (أَنْفِق يا ابن آدم أُنْفِق عليك).

وتعلمتُ قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾ [سبأ: 39].

ونحن تعلمنا والله من هذه القصة ألا نيأس أبدًا وأن نحسن دومًا الظن بالله تعالىٰ.

وكما قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الرزق رزقان، رزق تسعىٰ إليه، ورزق يسعىٰ إليك.

وقد جعل الله لرزقه أسبابًا يُغنىٰ بها من أراد من عباده، فمن أسباب الغنىٰ:

1- الاستغناء بالله عن الخلق:

عن حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي قال: «... **من يَسْتعفف يعفُّه الله، ومن يَسْتَغنِ يُغْنِهِ الله**».

وقال النبي: «**ليس الغِنَىٰ عن كثرة العَرَض، ولكنَّ الغِنَىٰ غِنَىٰ النفس**».

وقد أحسن مَن قال: «ما أجمل إحسان الأغنياء إلىٰ الفقراء رجاءً لثواب الله، وأحسن منه عفة الفقراءِ عن الأغنياء ثقة فيما عند الله».

2- من كان همُّه الآخرة:

قال النبي: «**من كانت الآخرةُ همه، جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة...**».

وكان أصحاب النبي ﷺ ينصح بعضهم بعضًا بثلاثة أمور، فيقولون: «**من أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله الذي بينه وبين الناس، ومن أصلح سريرته، أصلح اللهُ علانيته، ومن اهتم بآخرته، كفاه الله أمر دنياه**».

تعالوا نتعلم حسن الظن من هذه القصة القصيرة الجميلة:

أصابت بلدًا من بلاد المسلمين مجاعةٌ.. ومرَّ رجل علىٰ غلام، فوجده يضحك ويلعب، قال له: أتضحك يا غلام والناس في مجاعة؟!! فقال له الغلام: وما لي لا أضحك ولىٰ سيدٌ يملك حديقتين؟!

فضرب الرجل كفًا بكف وهويقول: له سيد يملك حديقتين ولا يخاف، ولىٰ ربٌ يملك خزائن السموات والأرض، وأخاف؟!!.

3- من نزلت به فاقة فأنزلها باللّه:

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تُسدُّ فاقتُه، ومن أنزلها بالله فيوشك اللهُ له برزق عاجل أو آجل**».

4- المتفرغ للعبادة:

قال تعالىٰ: في الحديث القدسي: «يا ابن آدم، تفرغ لعبادتي أملء صدرك غنىً، وأسد فقرك، وإلاَّ تفعل ملأتُ صدرك شغلًا ولم أسد فقرك».

وفي رواية قال: «يا ابن آدم، تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنًىٰ وأملأ يديك رزقًا، يا ابن آدم، لا تباعد منِّي فأملأ قلبك فقرًا وأملأ يديك شغلًا».

5- تقوى الله عَزَّوَجَلَّ:

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2- 3].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 96].

6- الاستغفار:

قال تعالىٰ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢﴾ [نوح: 10- 12].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب».

6- الدعاء:

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يقول: «**إذا بقي ثلث الليل ينزل الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ سماء الدنيا، فيقول: من ذا الذي يدعوني استجيب له؟ من ذا الذي يستغفرني أغفر له؟ من ذا الذي يسترزقني أرزقه؟من ذا الذي يستكشف الضرَّ أكشفه**».

فدونكم إخوتي هذه المساعي أو بعضها.. وأحسنوا الظن بربكم، فليس أكرم منه.

ولنتأمل هذه الحكمة العظيمة التي قالها نبي الله **عيسى** ﷺ:

«يَا مَعْشَرَ الْحَوَارِيِّينَ، إِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ فِي الدُّنْيَا فِي أَرْبَعِ مَنَازِلَ، هُوَ فِي ثَلاثٍ مِنْهُنَّ بِاللهِ وَاثِقٌ، حَسَنٌ ظَنُّهُ فِيهِنَّ بِرَبِّهِ، وَهُوَ فِي الرَّابِعِ سَيِّئٌ ظَنُّهُ بِرَبِّهِ، يَخَافُ خِذْلانَ اللهِ تَعَالَىٰ إِيَّاهُ، فَأَمَّا الْمَنْزِلَةُ الأُولَىٰ: فَإِنَّهُ خُلِقَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ: ظُلْمَةِ الْبَطْنِ، وَظُلْمَةِ الرَّحِمِ، وَظُلْمَةِ الْمَشِيمَةِ، يُنَزِّلُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فِي جَوْفِ ظُلْمَةِ الْبَطْنِ، فَإِذَا خَرَجَ مِنَ الْبَطْنِ وَقَعَ فِي اللَّبَنِ لا يَخْطُو إِلَيْهِ بِقَدَمٍ، وَلا يَتَنَاوَلُهُ بِفَمٍ، وَلا يَنْهَضُ إِلَيْهِ بِقُوَّةٍ، وَلا يَأْخُذُهُ بِحِرْفَةٍ، يُكْرَهُ عَلَيْهِ إِكْرَاهًا، وَيُؤْجَرُهُ إِيجَارًا، حَتَّىٰ يَنْبُتَ عَلَيْهِ عَظْمُهُ، وَلَحْمُهُ، وَدَمُهُ، فَإِذَا ارْتَفَعَ عَنِ اللَّبَنِ، وَقَعَ فِي الْمَنْزِلَةِ الثَّالِثَةِ، فِي الطَّعَامِ بَيْنَ أَبَوَيْهِ يَكْتَسِبَانِ عَلَيْهِ مِنْ حَلالٍ وَحَرَامٍ، فَإِنْ مَاتَ أَبَوَاهُ عَنْ غَيْرِ شَيْءٍ تَرَكَاهُ، عَطَفَ عَلَيْهِ النَّاسُ،

هَذَا يُطْعِمُهُ وَهَذَا يَسْقِيهِ، وَهَذَا يُؤْوِيهِ، فَإِذَا وَقَعَ فِي الْمَنْزِلَةِ الرَّابِعَةِ، فَاشْتَدَّ وَاسْتَوَىٰ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ، وَكَانَ رَجُلا خَشِيَ أَنْ لا يَرْزُقَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فَوَثَبَ عَلَىٰ النَّاسِ يَخُونُ أَمَانَاتِهِمْ، وَيَسْرِقُ أَمْتِعَتَهُمْ، وَيَخُونُهُمْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ مَخَافَةَ خِذْلانِ اللهِ تَعَالَىٰ إِيَّاهُ».



3- المـــرض

همسات رقيقة لمن ابتلاهم الله بالمرض:

[illegible]

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضىٰ ومن سخط فله السخط**»[1]. فالبلاء والأسقام إذا كانت فيمن أحسن ما بينه وبين ربه ورزقه صبراً عليها؛ كانت علامة خير ومحبة.

أفضل الخلق لم يسلموا من الأمراض:

من تأمل سير الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام -وهم من أحب الخلق إلىٰ الله- وجد البلاء طريقهم، والشدة والمرض دَيْدنُهم.. دخل عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ علىٰ الرسول الله ﷺ وهو يوعك، فقال: يا رسول الله إنك توعك وعكًا شديدًا، قال ﷺ: «**أجل، إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم..**»[2]. وسأله سعد بن أبي وقاص

---

(1) رواه الترمذي.

(2) متفق عليه.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أي الناس أشد بلاء؟، قال ﷺ: «**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلىٰ الرجل علىٰ حسن دينه، فإن كان دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي علىٰ حسب دينه، وما يبرح البلاء بالعبد حتىٰ يتركه يمشي علىٰ الأرض ما عليه خطيئة**».

لقد تأمل السلف هذه العبارة، وأدركوا ما فيها من إشارة.. فعدوا البلاء نعمة، والمرض والشدة بشارة.

المرض كفارة للسيئات وطريق الجنة:

إن الأمراض والأسقام من جملة ما يبتلي الله تعالىٰ به عباده، امتحانًا لصبرهم، وتمحيصًا لإيمانهم.. بل هي - لمن وُفِّق لحسن التأمل والتدبر - نعمة عظيمة توجب الشكر، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة: 155- 157].. الله أكبر.. أيُّ فضل بعد صلوات الرب ورحمته وهداه؟ وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يصيبه أذىً من مرض فما سواه إلا حطَّ الله به من سيئاته كما تحط الشجرة من ورقها**»[1].

(1) رواه مسلم.

وأتت امرأة إلىٰ النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله تعالىٰ لي، فقال: «**إن شئت صبرتِ ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك**»، فقالت: أصبر[1].

ودخل ﷺ علىٰ أم السائب، فقال: «**مالك يا أم السائب تزفزفين؟**»، قالت: الحمىٰ لا بارك الله فيها، فقال: «**لا تسبي الحمىٰ، فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد**»[2].

قال ابن أبي الدنيا: كانوا يرجون في حُمَّىٰ ليلة كفارةَ ما مضىٰ من الذنوب.

وبعض المرض أجره كأجر الشهيد:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سألتُ رسول الله ﷺ عن الطاعون فأخبرني أنه: عذاب يبعثه الله علىٰ من يشاء، وأن الله جعله رحمة للمؤمنين، ليس من أحدٍ يقعُ الطاعونُ فيمكث في بلده صابرًا محتسبًا، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد[3].

وقد مات كثير من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بسبب طاعون عمواس ببلاد الشام.

---

(1) متفق عليه.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه البخاري.

وهم أقرب وأحب العباد إلىٰ الله بعد نبيه ﷺ، فلم يختر الله عَزَّوَجَلَّ لهم هذه الميتة إلا لفضل كبير وأجر عظيم ومنزلة عالية لهم عنده في الآخرة، فمن ابتلي بمرض فليحسن الظن بالله.. فإنه لا يقدِّر إلا الخير.

القرب من الرحمن:

قرب المريض من الله عَزَّوَجَلَّ، وقرب الله من المريض، وهذا قرب خاص، يقول الله سبحانه في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني! قال: يارب، وكيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلان مرض فلم تعده، أما إنك لو عدته لوجدتني عنده**».

فالله عَزَّوَجَلَّ عند المنكسرة قلوبهم كما جاء في الأثر، وذلك للكسرة التي في القلب.

الأجر الجاري فضلٌ من الباري:

من لطف الله تعالىٰ ورحمته أنه لا يغلق بابًا من أبواب الخير إلا فتح لصاحبه أبوابًا.. فعلاوة علىٰ ما يكتب للمرضىٰ من الأجر جزاء ما أصابهم من شدة ومرض وصبرهم عليه، لا يحرمهم ثواب ما اعتادوا فعله من الطاعات إذا قصروا عنها بسبب المرض، فعن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مرض العبد أو سافر كتب الله تعالىٰ له من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا**»(١).

---

(١) رواه البخاري.

فأي كرم بعد هذا الكرم، وأي فضل أوسع من هذا الفضل؟!

فأحسن الظن بربك..

يا من ابتلاه الله بمرض.. لعل لك عند الله تعالىٰ منزلة لا تبلغها بعملك، فما يزال الله تعالىٰ يبتليك بحكمته بما تكره، ويصبرك علىٰ ما ابتلاك به، حتىٰ تبلغ تلك المنزلة.. فأحسن الظن بربك.

إن الأمراض مهما طالت وعظمت لا بد لأيامها أن تنتهي، ولا بد لساعاتها- بإذن الله- أن تنجلي، قال وهب بن منبه: لا يكون الرجل فقيهًا كامل الفقه حتىٰ يعد البلاء نعمة، ويعد الرخاء مصيبة، وذلك أن صاحب البلاء ينتظر الرخاء، وصاحب الرخاء ينتظر البلاء.. قال تعالىٰ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ [الانشقاق: 19]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشَّرح: 5- 6].

فأحسن الظن بربك.

قصة نبي الله (أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) المليئة بالعبر والعظات:

قبل أن أنقل لكم القصة، أحب أن أذكركم بحديث النبي ﷺ: «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، فإنه قد كانت فيهم الأعاجيب**»، وذلك لأن بعضكم قد يستعجب بعض أحداث القصة وتفاصيلها، فقدمت هذا الحديث الشريف أولا، مع إيماننا وتصديقنا الكامل لما جاء في القرآن الكريم عن هذه القصة جملةً وتفصيلًا، وإن لم نسلم



ونصدق كل التفاصيل المروية من كتب التاريخ، ولكننا نكتفي منها بالعبرة والعظة، ولا يترتب علىٰ سردها أحكاما تلزمنا، وهذا هو المراد من حديث رسول الله ﷺ.

والآن نقرأ سويًّا هذه القصة العجيبة:

كَانَ مِنْ حَدِيثِ وَسَبَبِ بَلَاء أيوب عليه السلام، أَنَّ إِبْلِيسَ سَمِعَ تَجَاوُبَ الْمَلَائِكَةِ بِالصَّلَاةِ عَلَىٰ أَيُّوبَ حِينَ ذَكَرَهُ اللهُ، فَحَسَدَهُ، «ولم يكن وقتها ملائكة تحرس أخبار السماء، ولا شهب تحرق من يسترق السمع، وإنما كان ذلك وقت بعثة نبينا ﷺ»، وَسَأَلَ إبليسُ اللهَ أَنْ يُسَلِّطَهُ عَلَيْهِ لِيَفْتِنَهُ عَنْ دِينِهِ، فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ مَالِهِ حَسْبَ، فَجَمَعَ إِبْلِيسُ عُظَمَاءَ أَصْحَابِهِ مِنَ الْعَفَارِيتِ، وَكَانَ لِأَيُّوبَ أرض بحوران الشام يطلق عليها الْبَثَنِيَّةُ، وَكَانَ لَهُ فِيهَا أَلْفُ شَاةٍ بِرُعَاتِهَا وَخَمْسُمِائَةِ فَدَّانٍ يَتْبَعُهَا خَمْسُمِائَةِ عَبْدٍ لِكُلِّ عَبْدٍ امْرَأَةٌ وَوَلَدٌ وَمَالٌ، وَيَحْمِلُ آلَةَ الْفَدَّانِ أَتَانٌ، وَلِكُلِّ أَتَانٍ وَلَدٌ، وَاثْنَانِ وَمَا فَوْقَ ذَلِكَ.

فلما جمعهم، قَالَ: مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْمَعْرِفَةِ، فَإِنِّي قَدْ تَسَلَّطْتُ عَلَىٰ مَالِ أَيُّوبَ، فَقَالَ كُلٌّ مِنْهُمْ قَوْلًا، فَأَرْسَلَهُمْ، فَأَهْلَكُوا مَالَهُ كُلَّهُ، وَأَيُّوبُ يَحْمَدُ اللهَ وَلَا يَرْجِعُ عَنِ الْجِدِّ فِي عِبَادَتِهِ، وَالشُّكْرِ لَهُ عَلَىٰ مَا أَعْطَاهُ، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ مَا ابْتَلَاهُ.

فَلَمَّا رَأَىٰ ذَلِكَ إِبْلِيسُ مِنْ أَمْرِهِ سَأَلَ اللهَ أَنْ يُسَلِّطَهُ عَلَىٰ وَلَدِهِ،

فَسَلَّطَهُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ سُلْطَانًا عَلَىٰ جَسَدِهِ وَلَا عَقْلِهِ وَقَلْبِهِ، فَأَهْلَكَ وَلَدَهُ كُلَّهُمْ، ثُمَّ جَاءَ إِلَيْهِ مُتَمَثِّلًا بِمُعَلِّمِهِمُ الَّذِي كَانَ يُعَلِّمُهُمُ الْحِكْمَةَ، جَرِيحًا مَشْدُوخًا، ليرىٰ حاله فيرق قلب أيوب له، فَرَقَّ أَيُّوبُ، فَبَكَىٰ، وَقَبَضَ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ، فَوَضَعَهَا عَلَىٰ رَأْسِهِ، فَسُرَّ بِذَلِكَ إِبْلِيسُ.

ثُمَّ إِنَّ أَيُّوبَ نَدِمَ لِذَلِكَ وَجَدَّ وَاسْتَغْفَرَ، فَصَعِدَ حَفَظَتُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِتَوْبَتِهِ إِلَىٰ اللهِ قَبْلَ إِبْلِيسَ، فَلَمَّا لَمْ يَرْجِعْ أَيُّوبُ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ وَالصَّبْرِ عَلَىٰ مَا ابْتَلَاهُ بِهِ، سَأَلَ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يُسَلِّطَهُ عَلَىٰ جَسَدِهِ، فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ جَسَدِهِ، خَلَا لِسَانَهُ وَقَلْبَهُ وَعَقْلَهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ سُلْطَانًا.

فَجَاءَهُ إبليس، فَنَفَخَ فِي مِنْخَرِهِ نَفْخَةً، اشْتَعَلَ مِنْهَا جَسَدُهُ، وَصَارَ أَمْرُهُ إِلَىٰ أَنِ انْتَثَرَ لَحْمُهُ، وَامْتَلَأَ جَسَدُهُ دُودًا، وَأَصَابَهُ الْجُذَامُ، وَكَانَ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ عَلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَخْرُجُ فِي جَسَدِهِ دمامل كبيرة ثُمَّ تتفقَّأُ، وَأَنْتَنَ حَتَّىٰ لَمْ يُطِقْ أَحَدٌ يَشُمُّ رِيحَهُ، فَأَخْرَجَهُ أَهْلُ الْقَرْيَةِ مِنْهَا إِلَىٰ الْكُنَاسَةِ خَارِجَ الْقَرْيَةِ، لَا يَقْرَبُهُ أَحَدٌ إِلَّا زَوْجَتُهُ، وَكَانَتْ تَخْتَلِفُ إِلَيْهِ بِمَا يُصْلِحُهُ، فَبَقِيَ مَطْرُوحًا عَلَىٰ الْكُنَاسَةِ سَبْعَ سِنِينَ، مَا يَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَكْشِفَ مَا بِهِ، وَمَا عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ أَكْرَمُ عَلَىٰ اللهِ مِنْهُ.

وسنة الله تعالىٰ أن البلاء علىٰ قدر الإيمان، وقد ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**أشدُّ النَّاس بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ، ثم الأمثل فالأمثل**».

وَقِيلَ: كَانَ سَبَبُ بَلَائِهِ:

أَنَّ أَرْضَ الشَّامِ أَجْدَبَتْ، فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ إِلَىٰ أَيُّوبَ أَنْ هَلُمَّ إِلَيْنَا فَإِنَّ لَكَ عِنْدَنَا سَعَةً، فَأَقْبَلَ بِأَهْلِهِ وَخَيْلِهِ وَمَاشِيَتِهِ، فَأَقْطَعَهُمْ فِرْعَوْنُ الْقَطَائِعَ، ثُمَّ إِنَّ شُعَيْبًا النَّبِيَّ دَخَلَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ فَقَالَ: يَا فِرْعَوْنُ، أَمَا تَخَافُ أَنْ يَغْضَبَ اللهُ غَضْبَةً فَيَغْضَبَ لِغَضَبِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَأَهْلُ الْأَرْضِ وَالْبِحَارُ، وَالْجِبَالُ؟ وَأَيُّوبُ سَاكِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ، فَلَمَّا خَرَجَا أَوْحَىٰ اللهُ إِلَىٰ أَيُّوبَ: يَا أَيُّوبُ، سَكَتَّ عَنْ فِرْعَوْنَ لِذَهَابِكَ إِلَىٰ أَرْضِهِ، اسْتَعِدَّ لِلْبَلَاءِ.

فَقَالَ أَيُّوبُ: أَمَا كُنْتُ أَكْفُلُ الْيَتِيمَ وَأُؤْوِي الْغَرِيبَ، وَأُشْبِعُ الْجَائِعَ، وَأَكْفِي الْأَرْمَلَةَ؟ فَمَرَّتْ سَحَابَةٌ يُسْمَعُ فِيهَا عَشَرَةُ آلَافٍ مِنَ الصَّوَاعِقِ يَقُولُونَ: مَنْ فَعَلَ بِكَ ذَلِكَ يَا أَيُّوبُ؟ فَأَخَذَ تُرَابًا فَوَضَعَهُ عَلَىٰ رَأْسِهِ وَقَالَ: أَنْتَ يَا رَبِّ، فَأَوْحَىٰ اللهُ إِلَيْهِ: اسْتَعِدَّ لِلْبَلَاءِ، قَالَ: فَدِينِي؟ قَالَ: أُسَلِّمُهُ لَكَ، قَالَ: فَمَا أُبَالِي.

فَلَمَّا ابْتَلَاهُ اللهُ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْبَلَاءُ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: إِنَّكَ رَجُلٌ مُجَابُ الدَّعْوَةِ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَشْفِيَكَ، فَقَالَ: كُنَّا فِي النَّعْمَاءِ سَبْعِينَ سَنَةً، فَلْنَصْبِرْ فِي الْبَلَاءِ سَبْعِينَ سَنَةً، وَاللهِ لَئِنْ شَفَانِي اللهُ لَأَجْلِدَنَّكِ مِائَةَ جَلْدَةٍ.

وَقِيلَ: إِنَّمَا أَقْسَمَ لَيَجْلِدَنَّهَا لِأَنَّ إِبْلِيسَ ظَهَرَ لَهَا وَقَالَ: بِمَ أَصَابَكُمْ مَا أَصَابَكُمْ؟ قَالَتْ: بِقَدَرِ اللهِ، قَالَ: وَهَذَا أَيْضًا بِقَدَرِ اللهِ، فَاتَّبِعِينِي،

فَاتَّبَعَتْهُ، فَأَرَاهَا جَمِيعَ مَا ذَهَبَ مِنْهُمْ فِي وَادٍ، وَقَالَ: اسْجُدِي لِي وَأَرُدُّهُ عَلَيْكَمْ، فَقَالَتْ: إِنَّ لِي زَوْجًا أَسْتَأْمِرُهُ، فَلَمَّا أَخْبَرَتْ أَيُّوبَ، قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ ذَلِكَ الشَّيْطَانُ؟ لَئِنْ شُفِيتُ لَأَجْلِدَنَّكِ مِائَةَ جَلْدَةٍ، وَأَبْعَدَهَا، وَقَالَ لَهَا: طَعَامُكِ وَشَرَابُكِ عَلَيَّ حَرَامٌ، لَا أَذُوقُ مِمَّا تَأْتِينِي بِهِ شَيْئًا، فَابْعُدِي عَنِّي فَلَا أَرَاكِ، فَذَهَبَتْ عَنْهُ.

الزوجة الوفية الصابرة المحتسبة:

كَانَتْ زوجة أيوب تَخْدُمُ النَّاسَ بِالْأَجْرِ وَتُطْعِمُ أَيُّوبَ عليه السلام، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ بعد ذلك لَمْ يَكُونُوا يَسْتَخْدِمُونَهَا لِعِلْمِهِمْ أَنَّهَا امْرَأَةُ أَيُّوبَ، خَوْفًا أَنْ يَنَالَهُمْ مِنْ بَلَائِهِ، أَوْ تُعْدِيَهُمْ بِمُخَالَطَتِهِ، فَلَمَّا لَمْ تَجِدْ أَحَدًا يَسْتَخْدِمُهَا، عَمَدَتْ فَبَاعَتْ لِبَعْضِ بَنَاتِ الْأَشْرَافِ إِحْدَىٰ ضَفِيرَتَيْهَا بِطَعَامٍ طَيِّبٍ كَثِيرٍ، فَأَتَتْ بِهِ أَيُّوبَ، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكِ هَذَا؟ وَأَنْكَرَهُ، فَقَالَتْ: خَدَمْتُ بِهِ أُنَاسًا، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، لَمْ تَجِدْ أَحَدًا، فَبَاعَتِ الضَّفِيرَةَ الْأُخْرَىٰ بِطَعَامٍ، فَأَتَتْهُ بِهِ، فَأَنْكَرَهُ أَيْضًا، وَحَلَفَ لَا يَأْكُلُهُ حَتَّىٰ تُخْبِرَهُ مِنْ أَيْنَ لَهَا هَذَا الطَّعَامُ، فَكَشَفَتْ عَنْ رَأْسِهَا، وأخبرته بخبرها.

مناجاته لربه:

لم يكن أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ يملك إلا الدعاء والمناجاة، فكان مما دعا: لَيْتَنِي إِنْ كَرِهْتَنِي لَمْ تَخْلُقْنِي، يَا لَيْتَنِي كُنْتُ حَيْضَةً مُلْقَاةً، وَيَا لَيْتَنِي عَرَفْتُ الذَّنْبَ الَّذِي أَذْنَبْتُ فَصَرَفْتَ وَجْهَكَ الْكَرِيمَ عَنِّي! لَوْ كُنْتَ

أَمَتَّنِي فَالْمَوْتُ أَجْمَلُ بِي! أَلَمْ أَكُنْ لِلْغَرِيبِ دَارًا، وَلِلْمِسْكِينِ قَرَارًا، وَلِلْيَتِيمِ وَلِيًّا، وَلِلْأَرْمَلَةِ قَيِّمًا؟ إِلَهِي أَنَا عَبْدٌ ذَلِيلٌ إِنْ أَحْسَنْتُ فَالْمَنُّ لَكَ، وَإِنْ أَسَأْتُ فَبِيَدِكَ عُقُوبَتِي.

وكان من دعائه:

وَقَعَ عَلَيَّ الْبَلَاءُ لَوْ سَلَّطْتَهُ عَلَىٰ جَبَلٍ لَضَعُفَ عَنْ حَمْلِهِ فَكَيْفَ يَحْمِلُهُ ضَعْفِي! ذَهَبَ الْمَالُ فَصِرْتُ أَسْأَلُ بِكَفِّي فَيُطْعِمُنِي مَنْ كُنْتُ أَعُولُهُ اللُّقْمَةَ الْوَاحِدَةَ فَيَمُنُّهَا عَلَيَّ وَيُعَيِّرُنِي! هَلَكَ أَوْلَادِي، وَلَوْ بَقِيَ أَحَدُهُمْ أَعَانَنِي. فَقَدْ مَلَّتْنِي أَهْلِي وَعَقَّنِي أَرْحَامِي فَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفِي، وَرَغِبَ عَنِّي صَدِيقِي، وَجُحِدَتْ حُقُوقِي، وَنُسِيَتْ صَنَائِعِي. أَصْرُخُ فَلَا يُصْرِخُونَنِي، وَأَعْتَذِرُ فَلَا يَعْذِرُونَنِي.

وَكَانَ مِنْ دُعَائه أيضًا: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ جَارٍ عَيْنُهُ تَرَانِي إِنْ رَأَىٰ حَسَنَةً سَتَرَهَا وَإِنْ رَأَىٰ سَيِّئَةً ذَكَرَهَا

خبره مع أصحابه الثلاثة، والفتى الحكيم:

كَانَ قَدِ اتَّبَعَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ عَلَىٰ دِينِهِ، فَانْطَلَقُوا إِلَيْهِ وَهُوَ فِي الْبَلَاءِ، فَبَكَّتُوهُ أَشَدَّ تَبْكِيتٍ، وَقَالُوا لَهُ: لَقَدْ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ، فَلِهَذَا لَمْ يُكْشَفِ الْعَذَابُ عَنْكَ.

فَقَالَ فَتًىٰ كَانَ مَعَهُمْ كَلَامًا يَرُدُّ عَلَيْهِمْ، بعد ما طال جدالهم: قَدْ تَرَكْتُمْ مِنَ الْقَوْلِ أَحْسَنَهُ، وَمِنَ الرَّأْيِ أَصْوَبَهُ، وَمِنَ الْأَمْرِ أَجْمَلَهُ، وَقَدْ

كَانَ لِأَيُّوبَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْحَقِّ وَالذِّمَامِ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي وَصَفْتُمْ، فَهَلْ تَدْرُونَ حَقَّ مَنِ انْتَقَصْتُمْ وَحُرْمَةَ مَنِ انْتَهَكْتُمْ، وَمَنِ الرَّجُلُ الَّذِي عِبْتُمْ؟ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَيُّوبَ نَبِيُّ اللهِ وَخِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ يَوْمَكُمْ هَذَا؟ ثُمَّ لَمْ تَعْلَمُوا وَلَمْ يَعْلَمْكُمُ اللهُ أَنَّهُ سَخِطَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ، وَلَا أَنَّهُ نَزَعَ شَيْئًا مِنَ الْكَرَامَةِ الَّتِي كَرَّمَ اللهُ بِهَا عِبَادَهُ، وَلَا أَنَّ أَيُّوبَ فَعَلَ غَيْرَ الْحَقِّ فِي طُولِ مَاصَحِبْتُمُوهُ، فَإِنْ كَانَ الْبَلَاءُ هُوَ الَّذِي أَزْرَىٰ بِهِ عِنْدَكُمْ، وَوَضَعَهُ فِي نُفُوسِكُمْ، فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ اللهَ يَبْتَلِي النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءَ، وَالصَّالِحِينَ، وَلَيْسَ بَلَاؤُهُ لِأُولَئِكَ دَلِيلًا عَلَىٰ سُخْطِهِ عَلَيْهِمْ، وَلَا عَلَىٰ هَوَانِهِمْ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهَا كَرَامَةٌ وَخِيرَةٌ لَهُمْ.

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: وَقَدْ كَانَ فِي عَظَمَةِ اللهِ وَجَلَالِهِ وَذِكْرِ الْمَوْتِ مَا يَكِلُّ أَلْسِنَتَكُمْ وَيَكْسِرُ قُلُوبَكُمْ وَيَقْطَعُ حُجَّتَكُمْ، أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ عِبَادًا أَسْكَتَتْهُمْ خَشْيَتُهُ عَنِ الْكَلَامِ مِنْ غَيْرِ عِيٍّ وَلَا بَكَمٍ؟ وَإِنَّهُمْ لَهُمُ الْفُصَحَاءُ الْأَلِبَّاءُ الْعَالِمُونَ بِاللهِ وَآيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمْ إِذَا ذَكَرُوا عَظْمَةَ اللهِ انْكَسَرَتْ قُلُوبُهُمْ، وَانْقَطَعَتْ أَلْسِنَتُهُمْ، وَطَاشَتْ أَحْلَامُهُمْ، وَعُقُولُهُمْ فَزَعًا مِنَ اللهِ وَهَيْبَةً لَهُ، فَإِذَا أَفَاقُوا اسْتَبَقُوا إِلَىٰ اللهِ بِالْأَعْمَالِ الزَّاكِيَةِ يَعُدُّونَ أَنْفُسَهُمْ مَعَ الظَّالِمِينَ وَإِنَّهُمْ لَأَبْرَارٌ، وَمَعَ الْمُقَصِّرِينَ وَإِنَّهُمْ لَأَكْيَاسٌ أَتْقِيَاءُ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَكْثِرُونَ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ الْكَثِيرَ، وَلَا يَرْضَوْنَ لَهُ الْقَلِيلَ، وَلَا يُدِلُّونَ عَلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ، فَهُمْ أَيْنَمَا لَقِيتَهُمْ خَائِفُونَ وَجِلُونَ.

فَلَمَّا سَمِعَ أَيُّوبُ كَلَامَهُ قَالَ: إِنَّ اللهَ يَزْرَعُ الْحِكْمَةَ بِالرَّحْمَةِ فِي قَلْبِ الصَّغِيرِ، وَالْكَبِيرِ، فَمَتَىٰ كَانَتْ فِي الْقَلْبِ؛ ظَهَرَتْ عَلَىٰ اللِّسَانِ، وَلَا تَكُونُ الْحِكْمَةُ مِنْ قِبَلِ السِّنِّ، وَالشَّيْبَةِ، وَلَا طُولِ التَّجْرِبَةِ، وَإِذَا جَعَلَ اللهُ تَعَالَىٰ عَبْدًا حَكِيمًا عِنْدَ الصِّبَا لَمْ تَسْقُطْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ الْحُكَّامِ.

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَىٰ الثَّلَاثَةِ، فَقَالَ: كَيْفَ بِكُمْ لَوْ قُلْتُ لَكُمْ تَصَدَّقُوا عَنِّي بِأَمْوَالِكُمْ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَنِي، أَوْ قَرِّبُوا قُرْبَانًا، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتَقَبَّلَ وَيَرْضَىٰ عَنِّي؟ وَإِنَّكُمْ قَدْ أَعْجَبَتْكُمْ أَنْفُسُكُمْ فَظَنَنْتُمْ أَنَّكُمْ عُوفِيتُمْ بِإِحْسَانِكُمْ، فَبَغَيْتُمْ وَتَعَزَّزْتُمْ، لَوْ صَدَقْتُمْ وَنَظَرْتُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ، لَوَجَدْتُمْ لَكُمْ عُيُوبًا سَتَرَهَا اللهُ بِالْعَافِيَةِ، وَقَدْ كُنْتُ فِيمَا خَلَا وَالرِّجَالُ يُوَقِّرُونَنِي، وَأَنَا مَسْمُوعٌ كَلَامِي، مَعْرُوفٌ مِنْ حَقِّي، مُنْتَصَفٌ مِنْ خَصْمِي، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ وَلَيْسَ لِي رَأْيٌ وَلَا كَلَامٌ مَعَكُمْ، فَأَنْتُمْ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ مُصِيبَتِي.

ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهُمْ، وَأَقْبَلَ عَلَىٰ رَبِّهِ قَائِلًا: ربي، إن قَضَاءَكَ هُوَ الَّذِي آذَانِي وَأَقْمَأَنِي، وَإِنَّ سُلْطَانَكَ هُوَ الَّذِي أَسْقَمَنِي، فَلَوْ أَنَّ رَبِّي نَزَعَ الْهَيْبَةَ الَّتِي فِي صَدْرِي، وَأَطْلَقَ لِسَانِي، حَتَّىٰ أَتَكَلَّمَ مِلْءَ فَمِي، ثُمَّ كَانَ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يُحَاجَّ مَوْلَاهُ عَنْ نَفْسِهِ - لَرَجَوْتُ أَنْ تُعَافِيَنِي عِنْدَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ أَلْقَانِي وَعَلَا عَنِّي فَهُوَ يَرَانِي وَلَا أَرَاهُ، وَيَسْمَعُنِي وَلَا أَسْمَعُهُ، لَا نَظَرَ إِلَيَّ فَرَحِمَنِي، وَلَا دَنَا مِنِّي فَأَتَكَلَّمَ بِبَرَاءَتِي وَأُخَاصِمَ عَنْ نَفْسِي.

فَلَمَّا قَالَ أَيُّوبُ ذَلِكَ أَظَلَّتْهُمْ غَمَامَةٌ وَنُودِيَ مِنْهَا: يَا أَيُّوبُ إِنَّ اللهَ يَقُولُ: قَدْ دَنَوْتُ مِنْكَ وَلَمْ أَزَلْ مِنْكَ قَرِيبًا، فَقُمْ فَأَدْلِ بِحُجَّتِكَ، وَتَكَلَّمْ بِبَرَاءَتِكَ، وَقُمْ مَقَامَ جَبَّارٍ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُخَاصِمَنِي إِلَّا جَبَّارٌ، لَقَدْ مَنَّتْكَ نَفْسُكَ أَمْرًا لَا تَبْلُغُهُ بِمِثْلِ قُوَّتِكَ، أَرَدْتَ أَنْ تُكَابِرَنِي بِضَعْفِكَ، أَمْ تُخَاصِمَنِي بِعِيِّكَ، أَيْنَ أَنْتَ مِنِّي يَوْمَ خَلَقْتُ الْأَرْضَ؟ هَلْ عَلِمْتَ بِأَيِّ مِقْدَارٍ قَدَّرْتُهَا؟ أَيْنَ كُنْتَ مَعِي يَوْمَ رَفَعْتُ السَّمَاءَ سَقْفًا فِي الْهَوَاءِ لَا بِعَلَائِقَ وَلَا بِدَعَائِمَ تَحْمِلُهَا؟ هَلْ تَبْلُغُ حِكْمَتُكَ أَنْ تُجْرِيَ نُورَهَا، أَوْ تُسَيِّرَ نُجُومَهَا، أَوْ يَخْتَلِفَ بِأَمْرِكَ لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا؟

فَقَالَ أَيُّوبُ تائبًا نادمًا: قَصَّرْتُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ! لَيْتَ الْأَرْضَ انْشَقَّتْ لِي فَذَهَبْتُ فِيهَا وَلَمْ أَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ يُسْخِطُكَ! إِلَهِي اجْتَمَعَ عَلَيَّ الْبَلَاءُ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الَّذِي ذَكَرْتَ صُنْعُ يَدَيْكَ، وَتَدْبِيرُ حِكْمَتِكَ، لَا يُعْجِزُكَ شَيْءٌ وَلَا تَخْفَىٰ عَلَيْكَ خَافِيَةٌ، تَعْلَمُ مَا تُخْفِي الْقُلُوبُ، وَقَدْ عَلِمْتَ بَلَائِي مَا لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُهُ، كُنْتُ أَسْمَعُ بِسَطْوَتِكَ سَمْعًا، فَأَمَّا الْآنَ فَهُوَ نَظَرُ الْعَيْنِ، وَإِنَّمَا تَكَلَّمْتُ بِمَا تَكَلَّمْتُ بِهِ لِتَعْذِرَنِي، وَسَكَتُّ لِتَرْحَمَنِي، وَقَدْ وَضَعْتُ يَدَيَّ عَلَىٰ فَمِي، وَعَضِضْتُ عَلَىٰ لِسَانِي، وَأَلْصَقْتُ بِالتُّرَابِ خَدِّي فَدَسَسْتُ فِيهِ وَجْهِي فَلَا أَعُودُ لِشَيْءٍ تَكْرَهُهُ.

وحانت ساعة الفرج:

لما صفىٰ قلب أيوب لربه، أقبل علىٰ الدعاء بخشوع وتضرع،



ودعا ربه دعاء جمع بين الرغبة والرهبة، فقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣﴾[الأنبياء: 83].

فَقَالَ اللهُ: يَا أَيُّوبُ، نَفَذَ فِيكَ حُكْمِي، وَسَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي، قَدْ غَفَرْتُ لَكَ وَرَدَدْتُ عَلَيْكَ أَهْلَكَ، وَمَالَكَ، وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ، لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً، وَعِبْرَةً لِأَهْلِ الْبَلَاءِ، وَعَزَاءً لِلصَّابِرِينَ، فَـ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝٤٢﴾[ص: 42] فِيهِ شِفَاءٌ، وَقَرِّبْ عَنْ أَصْحَابِكَ قُرْبَانًا وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَدْ عَصَوْنِي فِيكَ.

فَرَكَضَ بِرِجْلِهِ فَانْفَجَرَتْ لَهُ عَيْنُ مَاءٍ، فَاغْتَسَلَ فِيهَا، فَرَفَعَ اللهُ عَنْهُ الْبَلَاءَ، ثُمَّ خَرَجَ فَجَلَسَ بالطريق.

رواية أخرى مختصرة:

كَانَ لِأَيُّوبَ أَخَوَانِ فَجَاءَا يَوْمًا فَلَمْ يَسْتَطِيعَا أَنْ يَدْنُوَا مِنْهُ مِنْ رِيحِهِ فَقَامَا مِنْ بَعِيدٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَوْ كَانَ اللهُ عَلِمَ مِنْ أَيُّوبَ خَيْرًا مَا ابْتَلَاهُ بِهَذَا، فَجَزِعَ أَيُّوبُ مِنْ قَوْلِهِمَا جَزَعًا لَمْ يجزع من شئ قط، قَالَ: «**اللَّهم إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَبِتْ لَيْلَةً قَطُّ شَبْعَانًا وَأَنَا أَعْلَمُ مَكَانَ جَائِعٍ فَصَدِّقْنِي**»، فَصُدِّقَ مِنَ السَّمَاءِ وَهُمَا يَسْمَعَانِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ يَكُنْ لِي قَمِيصَانِ قَطُّ وَأَنَا أَعْلَمُ مَكَانَ عَارٍ فَصَدِّقْنِي**»، فَصُدِّقَ مِنَ السَّمَاءِ وَهُمَا يَسْمَعَانِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ بِعِزَّتِكَ وَخَرَّ سَاجِدًا فَقَالَ اللَّهُمَّ بِعِزَّتِكَ لَا أَرْفَعُ رَأْسِي أَبَدًا حَتَّىٰ تَكْشِفَ عَنِّي، ثـم دعـا فقـال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ

وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ [الأنبياء: 83]، فَمَا رَفَعَ رَأْسَهُ حَتَّىٰ كَشَفَ اللهُ عَنْهُ.

وَبينما هو في دعائه ومناجاته، كانت امْرَأَتُهُ حزينة من أجله، مشفقة عليه، قَالَتْ: كَيْفَ أَتْرُكُهُ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ أَحَدٌ، يَمُوتُ جُوعًا وَتَأْكُلُهُ السِّبَاعُ؟ فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ، فَرَأَتْ أَيُّوبَ وَقَدْ عُوفِيَ، فَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَعَجِبَتْ حَيْثُ لَمْ تَرَهُ عَلَىٰ حَالِهِ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، هَلْ رَأَيْتَ ذَلِكَ الرَّجُلَ الْمُبْتَلَىٰ الَّذِي كَانَ هَهُنَا؟ قَالَ: وَهَلْ تَعْرِفِينَهُ إِذَا رَأَيْتِهِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، مَالِي لَا أَعْرِفُهُ! فَتبَسَّمَ، فَعَرَفَتْهُ بِضَحِكِهِ، فَاعْتَنَقَتْهُ فَلَمْ تُفَارِقْهُ مِنْ عِنَاقِهِ حَتَّىٰ مَرَّ بِهِمَا كُلُّ مَالٍ لَهُمَا وَوَلَدٍ، حيث ردَّ اللهُ إِلَيْهِ امْرَأَتَهُ وَرَدَّ إِلَيْهَا شَبَابَهَا فَوَلَدَتْ لَهُ سِتَّةً وَعِشْرِينَ ذَكَرًا، وردَّ عليه ضعف ما كان يملك.

برُّ اليمين:

وَلَمَّا عُوفِيَ أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَأْخُذَ عُرْجُونًا مِنَ النَّخْلِ فِيهِ مِائَةُ شِمْرَاخٍ، فَيَضْرِبَ بِهِ زَوْجَتَهُ، لِيَبَرَّ مِنْ يَمِينِهِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ، وَهَذَا مِنَ الْفَرَجِ وَالْمَخْرَجِ لِمَنِ اتَّقَىٰ اللهَ وَأَطَاعَهُ، وَلَا سِيَّمَا فِي حَقِّ امْرَأَتِهِ الصَّابِرَةِ الْمُحْتَسِبَةِ الْمُكَابِدَةِ الصِّدِّيقَةِ الْبَارَّةِ الرَّاشِدَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وتتوالى البركات:

وَأَنْزَلَ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكًا فَقَالَ: يَا أَيُّوبُ، إِنَّ اللهَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ لِصَبْرِكَ عَلَىٰ الْبَلَاءِ، اخْرُجْ إِلَىٰ أَنْدَرِكَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَبَعَثَ اللهُ سَحَابَةً فَأَلْقَتْ عَلَيْهِ جَرَادًا مِنْ ذَهَبٍ، وَكَانَتِ الْجَرَادَةُ تَذْهَبُ فَيَتْبَعُهَا حَتَّىٰ يَرُدَّهَا فِي

أَنْدَرِهِ، فَقَالَ الْمَلَكُ: أَمَا تَشْبَعُ مِنَ الدَّاخِلِ حَتَّىٰ تَتْبَعَ الْخَارِجَ؟ فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْبَرَكَةَ مِنْ بَرَكَاتِ رَبِّي لَسْتُ أَشْبَعُ مِنْهَا.

وصح عن نبينا محمد ﷺ أنه قال: «**بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، خرّ عليه جراد من ذهب، فجعل أيوب يحشي في ثوبه، فناداه ربه عَزَّوَجَلَّ: [يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَىٰ]، قَالَ: بَلَىٰ يَا ربِّ، وَلَكِنْ لَا غِنَىٰ لِي عَنْ بَرَكَتِكَ**».

من وضع البلاء والشدة والمرض الذي قدَّره الله علىٰ عبده ونبيه أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أمام بلائه وشدته ومرضه، هانَ وخفَّ عليه، وعَلِم لطفَ الله فيه، ورحمتَه به، وكان عونا له علىٰ الصبر وعدم اليأس، وطريقًا مباشرًا لحسن الظن بالله تعالىٰ.

قصة عروة بن الزبير العجيبة:

ها هو عروة بن الزبير وهو من أفاضل التابعين وأخيارهم، كان له ولد اسمه محمد، وكان من أحسن الناس وجهًا، دخل علىٰ الخليفة الوليد بن عبد الملك في ثياب جميلة، فقال الوليد: هكذا تكون فتيان قريش، ولم يدع بالبركة، فقالوا أنه أصابه بالعين.

ولما خرج محمد بن عروة بن الزبير من المجلس، وقع في اصطبل للدواب، فلا زالت الدواب تطأه حتىٰ مات، ثم مباشرة وقعت الأَكَلَةُ في رِجْلِ عروة، وقالوا لابد من نشرها بالمنشار، وقطعها حتىٰ لا تسري لأماكن الجسد فيهلك.

ولما قالوا: نسقيك شيئًا يزيل عقلك؟ قال: إنما ابتلاني ليرىٰ صبري، ورفض، فنشروها، فلما وصل المنشار إلىٰ القصبة (وسط الساق)؛ وضع رأسه علىٰ الوسادة فغُشِي عليه ثم أفاق والعرق يتحدّر من وجهه، وهو يهلل ويكبّر ويذكر الله، فأخذها وجعل يُقلِّبُها ويُقَبِّلُها في يده، وقال: «**أما والذي حملني عليك** -يعني: الله عَزَّوَجَلَّ-.. **إنه ليعلم أنني ما مشيت بك إلىٰ حرام، ولا إلىٰ معصية، ولا إلىٰ ما لا يرضي الله**»، ثم أمر بها فغُسِّلَتْ وطُيِّبَت وكُفِّنَت، وأَمَرَ بها أن تُقدَّم إلىٰ المقبرة.

ولما جاء من السفر بعد أن بُتِرَت رِجْلُه، وفقد ولده، قال: اللهم إن أخذت عضوًا؛ فقد أبقيت ثلاثة، وإن أخذت ولدًا؛ فقد أبقيت ثلاثة.

ولما رجع إلىٰ المدينة، وزاره بعض أصحابه، فسألوه: كيف كانت رحلتك؟ وكيف كان سفرك؟؛ لم يحب أن يشكو ربه، فاكتفىٰ بقوله: لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا.

تأمل كيف ابتلي عروة فصبر وأحسن الظن بربه... عسىٰ ولدُه، ورِجْلُه أن يكونا سَبَقاه إلىٰ الجنة.

ولنتأمل هذه القصة العجيبة التي يحكيها صاحبُها بنفسه، وهو الشيخ محمد عبده رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يقول:

أنا وأهل بيتي قد أُصبنا في بداية زواجنا بسحر شديد، وقد ابُتلينا به ربما مع العَقد -عقد القِران-، وكانت أمورنا قبله علىٰ ما يُرام،



فارتحلنا إلىٰ الإسماعيلية بعد زواجنا بأسبوعين؛ علّنا نجد بُغية الشفاء هنالك عند بعض من يعالجون بالقرآن..

ومن عجائب أقدار الله أنني وفي غمرة همومي التي لفتني ركبت مع سائق من عوام الناس، لا يبدو عليه أثر التزام؛ فأراد أن يقطع الطريق بحديث كنت أظنه للتسلية، ولم أدر أنه رسالة الله إليّ..

فجأة وبدون مقدمات وجدت السائق يلتفت إليّ ويقول: تعرف يا شيخ.. مفيش غير إن الواحد يقرّب من ربنا.

قلت: صدقت.. وقفز في رأسي أن الرجل يجاملني ليساير هيئة المشيخة (اللحية).

وقال: دعني أقصّ عليك قصتي.

قلتُ - متململًا وأنا لا أكاد أبصر من الهمّ: تفضّل اقصص.

قال بمسكنة وخشوع بالغ وصلني صِدْقُه: أنا رجل فقير علىٰ باب الله، أعمل علىٰ هذه السيارة بالأجرة، ليس لي في الدنيا أحد، ولي جيران أشرار يؤذونني، وفيهم بلطجة وإجرام، لا أكاد أجرؤ أن أقف لهم، وقد سحروني يا شيخ، فنالت مني الأمراض من كل جانب، ونهشني الهمّ كما تنهش السباع الجائعة فريستها، ووقف حالي تمامًا، ولم أعد أقوىٰ علىٰ العمل.. ضاقت بي الدنيا - علىٰ رحابتها - من كل جانب، وفكرتُ في الانتحار.

ولم أكن أدري أنني مسحور، ودُرت علىٰ الأطباء، فاستنزفوا مالي الزهيد حتىٰ لم يعد لي شيء أتبلّغ بعض أيسر المطالب، ولم تلح في الأفق بشارات الشفاء، ولا حتىٰ أمارات تكشف لي الداء..

وفي ليلة هتف بي هاتف: أن قم فصلِّ وتضرّع لربّك.. فتوضأت وصليت ركعتين..

بكيتُ فيهما كما لم أبكِ من قبل.. أطلت السجود.. أطلقت العبرات والزفرات والآهات.. ناجيت الله طويلًا.. شكوتُ إليه ضعفي وفقري ومسكنتي وحاجتي وكسر قلبي.. ثم غلبني النوم علىٰ سجادة الصلاة فنمت، ثم رأيتُ في نومي من يعقد علىٰ قافيتي عُقد السحر، فإذا هم جيراني هؤلاء.. ورأيت كأنما أطعموني طعامًا كمثل اللحم الأسود المتفحم، قد دسُّوا فيه السحر، وسقوني شرابًا أصفر غمسوا فيه السحر..

فاستفقت علىٰ جسدي يرتعد، فهرعت إلىٰ الصلاة مجدّدًا.. فصليت ركعتين أخريين كمثل الأوليين أو أحسن..

زاد بكائي وتضرعي.. (بكيت يا شيخ مثل الأطفال)

قلت: يا رب ليس لي في هذا الوجود أحد سواك.. وليس لي طاقة علىٰ السفر إلىٰ المشايخ للرقية، ولا مال عندي لزيارة الأطباء، وأنت رب العالمين بيدك الشفاء، بابك أقرب الأبواب، وسببك أيسر الأسباب.. وأثناء الصلاة شعرت برغبة جارفة لدخول الخلاء..

فأوجزت في صلاتي.. ودخلت الحمام.. فإذا هو إسهال شديد لم أر مثله من قبل، حتىٰ لقد صفّاني تصفية.. ثم وجدتني أتقيأ كل ما في بطني، فإذا هي أشياء تشبه اللحم الأسود الجامد، وشراب لونه أصفر، كالذي رأيته في رؤياي علىٰ سجادة الصلاة..

ثم شعرت بعد ذلك براحة غريبة، كأن جبلًا عظيمًا انزاح من علىٰ صدري.. صرتُ أتنفس وأحس بدماء العافية تسري في عروقي... أيقنتُ أنها علامة الشفاء والعافية.

تعمدتُ أن أرحل من المكان وألا أخبر أحدًا بما حدث كيلا يُجدّدوا السحر لي، وأنا بحمد الله بين يديك أرتع في مراح العافية.. وعاد لي نشاطي، وتيسّرت أموري، وانفتحت لي مغاليق أسباب الرزق، والحمد لله وحده.

استمعت إلىٰ قصته وقد اعتراني الذهول.. لماذا يقصّ عليّ هذا الرجل قصته، ولماذا فتح معي هذا الموضوع..

رأيتُ أنها رسالة الله إليّ أن اسلك هذا السبيل.. وإيّاك والتعلق بأسباب البشر، وتعلّق بربّ البشر.

هذا العامي برهن بجلاء عن عقيدة التوحيد بلا كثير تعقيد، ومارس العبودية حين تفجرت بالحقيقة فطرتُه كأرقىٰ ما تكون الممارسة..

وأنا الذي أدرِّس الناس العقيدة غارق إلىٰ شحمة أذني في مستنقع الهموم ولم أبصر الطريق!

كان هذا الرجل طوق نجاة انتشلني الله بفضله مما أنا فيه..

فعزمتُ أن أُجرّد التوحيد، وأمارس وظيفة العبودية، دون أن أتورّط في تجريب ربي؛ فإنّ الرّبّ جلّ وعلا لا يُجرّب.

ادخل على ربّك بحسن الظن..

نعم.. حسن الظن..

حسن الظن في رب كريم قادر..

حسن الظن في اليسر بعد العسر..

حسن الظن في الفرج بعد الضيق.

وإياك والاشتراط علىٰ الله، فما يليق بالمحتاج أن يشترط علىٰ الغني!

ثم إياك والعجلة؛ فإن الله يبتلي بالتأخير؛ ليخرج ضغائن الصدور، وإنه سبحانه لا يعجل بعجلة أحد.

سرت كسيرة الرجل؛ فلم يمرّ بعدها أسبوع حتىٰ لاحت تباشير الفجر، وتفتحت زهور الفرج، وأينعت ثمار الصبر، وانفك السحر في قصة أكثر غرابة من قصة ذاك الرجل.

واليوم.. إذا قلتَ للناس: هذا مسار العلاج لكل أدوائكم وهمومكم، امتعضوا وزهدوا وتأفّفوا..

أتدرون لماذا؟

إنهم يريدون علاجًا سحريًّا كضغطة زر ثم يلوح بعده الشفاء من كل الداء.. في عصر السرعة صار الناس يستعجلون كل شيء؛ يتعلّقون بكل شيء إلا من تعلقهم بالله، برقية أو براقٍ، وكلما ازداد تعلقهم بالبشر، تأخرت عنهم الإجابة.

وإذا أقبلوا على الله؛ أقبلوا عليه مُجرّبين ممتحِنين، أو أقلبوا عليه شاكّين مترددين؛ فيتأخر مرادهم، ثم يزعمون أنهم أقبلوا، ووالله ما أقبلوا.

قصة عجيبة أيضًا يرويها الدكتور خالد الجبير حفظه الله:

ومن أروع القصص عن حسن الظن بالله هذه القصة التي يحكيها الدكتور خالد الجبير رئيس قسم القلب والشرايين في إحدي محاضراته فيقول الدكتور أنه أجري عملية قلب لطفل وقام منها معافى سليم.

ثم توقف نبضُه وتنفسُّه بعد يومين لمدة 45 دقيقة، فلما أخبر والدة الطفل بذلك قالت له: الحمد الله وذهبت.

بعدها بـ 12 يوم توقف قلبه مرة أخرى، وأخبر والدته بأن هذه المرة لا أمل لنجاة الطفل فقالت المرأة: الحمد الله.. إن كان شفاؤه خير فاشفه يا الله.

وذهبت ومرت ثلاثة أشهر ونصف والطفل في الإنعاش، لا

يتحرك، وفجأة أصيب بخُرَّاج عظيم في رأسه، فقال الطبيب لوالدته بأن ابنها ميت هذه المرة، وإنه لن ينجو من هذا الخراج فقالت: الحمد لله، وذهبت إلي أن شفي الطفل من الخراج.

وبعدها بأسبوعين أصيب بتسمم في الدم، وارتفعت حرارته جدا، وفي كل مرة كانت الأم صابرة، وتقول الحمد لله، ثم أصيب الطفل بتوقف في الكلي، ثم بالتهاب في الغشاء البلوري للصدر.

ثم خرج من الإنعاش بعد ستة أشهر، لا يري، ولا يتكلم، ولا يسمع، ولا يتحرك، وصدره مفتوح، ويمكنك رؤية قلبه ينبض، وواصلت الأم صبرها، ثم شُفي الطفل بعد ذلك وما أظن ذلك إلا بسبب صبرأمه، وحسن ظنها في الله تعالىٰ.

وبعد مرور خمسة سنوات جاءته الأم مع طفلها معافي، وعرف منها أنها أنجبته بعد عقم 17 عام، فسالت دموع الطبيب من إيمان هذه المرأة وحسن ظنها بالله تعالىٰ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

وكثير من المرضىٰ يشفون بلا تداو:

بدعوة مستجابة، أو رقية نافعة، أو قوة للقلب وحسن توكل[1].

فإلىٰ كل مهموم ومبتلىٰ: أقبل علىٰ الله علىٰ أقدام الذل والانقياد

---

(1) «مجموع الفتاوىٰ».

والانكسار، واسكب دموع الخوف والرجاء، واصدق في لهجة الدعاء والالتجاء... يكن لك ما أردت، فخزائن الله ملأىٰ لا تغيضها النفقة، ويده سحّاء الليل والنهار، فلنحسن الظن بالله تعالىٰ.

وإلىٰ من شاء الله ابتلاهم بالشدائد والكروب.. وإلىٰ من أراد تمحيصهم بالأسقام علام الغيوب:

فذاك مريض فقد صحته.. وآخر حار في معرفة سقمه وفهم علته.. وثالث خارت قواه وزالت بشاشته.. وهم- مع ذلك-... ذاكرون شاكرون لله، وصابرون محتسبون لله، محسنون الظن بالله وتأملوا قول النبي ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، وإن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»[1].

وقد قيل: لولا حوادث الأيام؛ لم يعرف صبر الكرام، ولا جزع اللئام.

فلْنَعي جميعًا الخطاب، ولْنُعِدَّ له محكم الجواب.. فكم مِنْ نعمة لو أُعطيها العبد كانت داءه، وكم مِنْ محروم مِنْ نعمةٍ حرمانُه شفاؤه.. ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾[البقرة: 216]، ولنحسن الظن بالله تعالىٰ.



(1) رواه مسلم.

4- الزواج والعزوبية

القرار.. اختيار..

والبلاء المحض.. اضطرار..

والرحمات خلال ذلك.. لُطفٌ من الجبَّار..

امتن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ علينا في كتابه أن خلقنا معشر الرجال والنساء من نفس واحدة، وهذه النفس الواحدة هي آدم، والمِنَّة في هذا أن نوع الرجال ليسوا خلقًا مستقلًا، وكذلك نوع النساء ليس أصل خَلْقِهم مستقلًا، فلو كان النساء خُلِقْن في الأصل بمعزل عن الرجال؛ كأن يكون الله قد خلقهم من عنصر آخر غير الطين مثلًا، أو من الطين استقلالًا؛ لكان هناك من التنافر والتباعد ما الله أعلم به، ولكن كَوْن حواء قد خُلِقت كما جاء في الحديث الصحيح مِنْ ضِلْع من أضلاع آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ كان هذا يعني أن المرأة في الأصل قطعة من الرجل، ولذلك حَنَّ الرجل إلىٰ المرأة، وحَنَّت المرأة إلىٰ الرجل.

ثم كان من رحمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن جعل التكاثر من التقاء الرجال والنساء، لقاء يكون فيه الإفضاء الكامل، واللذة الكاملة، وذلك ليحقق

قول النبي ﷺ: «**النساء شقائق الرجال**»، فالرجل والمرأة شِقَّان لشيء واحد.

وهذا الخلق على هذا النحو من أعظم آيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنعام: 98].

ولذلك أمرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بمراعاة هذه الوحدة في الأصل عند تعامل الرجال والنساء، فقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: 1].

بل أمرنا بما هو أكبر من ذلك، أن نتذكر نعمته في خلقنا على هذا النحو، وبأَنْ خَلَقَ فينا هذا الميل من بعضنا لبعض، وغرس في القلوب الحب والرحمة بين الزوجين، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: 21].

إن الزواج هو عقد من أسمى العقود الموجودة في الحياة وسمي بالميثاق الغليظ في القرآن، كما أنه سنة من سنن الأنبياء والمرسلين، فهو فطرة فطر الله عَزَّوَجَلَّ الإنسان عليها، مما يدل على شأنه العظيم ووضع العديد من قواعد الزواج لضمان نجاحه بين الزوجين، وذلك

لضمان استمرارية الحياة ويرجع ذلك لأهميته ليس للفرد فقط بل للمجتمع بأكمله.

ويتفرد الإسلام بامتلاكه فلسفة معجزة للزواج تجمع بين الواقعية والسمو، ولا تتصادم مع الفطرة البشرية.

وأفضل كلام عن الزواج هو قول رسول الله ﷺ: **«يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»**.

قد يكون الزواج مكافأة ونعمة لطرف:

كما حكىٰ الذهبي في «تاريخه»:

أن زوجة عمران بن حطان كانت ذات جمال، وكان دميمًا قبيحًا، فأعجبته مرة، فقالت: أنا وأنت في الجنة، قال: من أين علمتِ؟! قالت: لأنك أُعطيتَ مثلي فشكرت، وابتليتُ بمثلك فصبرتُ، والشاكر والصابر في الجنة.

وقد يكون الزواج سببًا لشقاء لا يطاق:

كبخلٍ شديد، أو غضب سريع، أو غير ذلك مما يصعب معه العيش، يكون الصبر علىٰ العزوبية أسهل منه وأهون، كما جاء في بعض الروايات أن أحد الرجال ويدعىٰ أبو جهم كان ضرابًا للنساء (أي: زوجاته).



وقد يكون الزواج مبنيًّ على التفاهم من أول يوم:

كما جاء في «تاريخ بغداد»:

أن شعيب بن حرب أراد أن يتزوج بامرأة، فقال لها: إني سيئ الخلق، قالت: أسوأ منك خُلُقًا مَنْ أَحْوَجك أن تكون سيئ الخلق، فقال: أنت إذن امرأتي.

المقصود: أن الله تعالىٰ إِنْ جمع بين زوجين بالمودة والرفق وحسن العشرة فهو من أكبر وأجمل النعم في الدنيا، وإن كان غير ذلك كان وبالًا وشقاءً قد يؤدي إلىٰ عواقب وخيمة غير محمودة..

وإلا فما فائدة الزواج إنْ لم تكن فيه مشاركة للتفاصيل؟!

وما فائدة الزواج إن لم تشعر زوجتك بالأمان في جوارك، واهتمامك للسؤال عنها ودعمها؟!

وما فائدة الزواج إن لم تعد لبيتك فتجد مَنْ تحسن فَتْحَ ذراعيها وقلبها وأُذُنها لحديثك؟!

الزواج ليس مجرد كفاية مالية، وإعفاف جسدي، وبيت فيه طعام وشراب، ثم يعيش كل منهما همومه وآماله بمعزل عن الآخر!

هكذا يفقد أهم معانيه التي تجعل لاستمراره قيمة وثمرة.

بل الزواج منظومة متكاملة.. بروحه وجسده.. بقلبه وعقله..

بأفراحه وهمومه.. براحته ومسؤوليته، وإنَّ كلا الزوجين للآخر تكليفٌ شرعي، يُسألان عنه بين يدي الله!

لذلك نقول ونكرر القاعدة الذهبية في الزواج:

إما زواجٌ يُسْعِدُ القلب، ويُكْمِل الروح.. وإما فالوِحْدةُ أرفقُ بنا.. مِنْ صُحْبةِ مَنْ لا يُشبِهُنا..

قصة زواج عجيبة ترويها أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

لَمَّا قَسَّمَ رَسُولُ الله ﷺ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَقَعَتْ (جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ) فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، أَوْ لابن عمّ له، فَكَاتَبَتْهُ عَلَىٰ نَفْسِهَا[1].

وَكَانَتِ امْرَأَةً حُلْوَةً مُلَاحَةً، لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَسْتَعِينُهُ فِي كِتَابَتِهَا، قَالَتْ عائشة: فو الله مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا فَكَرِهْتُهَا، وَقُلْتُ سَيَرَىٰ مِنْهَا مِثْلَ مَا رَأَيْتُ، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ سَيِّدِ قَوْمِهِ، وَقَدْ أَصَابَنِي مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ، وَقَدْ كَاتَبْتُ عَلَىٰ نَفْسِي فَأَعِنِّي عَلَىٰ كِتَابَتِي.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَوْ خير مِنْ ذَلِكَ، أُؤَدِّي عَنْكِ كِتَابَتَكِ**

---

(١) أي: تدفع له مالا ليعتقها فتصبح سيدة حرة.

وَأَتَزَوَّجُكِ»، فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَفَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَبَلَغَ النَّاسَ أَنَّهُ قَدْ تَزَوَّجَهَا، فَقَالُوا: أَصْهَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَرْسَلُوا مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَلَقَدْ أُعْتِقَ بِهَا مِائَةُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَىٰ قَوْمِهَا مِنْهَا.

وإليكم هذا السر الذي لم يكن أحد يعلمه قبل هذا الزواج المبارك:

قَالَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: رَأَيْتُ قَبْلَ قُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ بِثَلَاثِ لَيَالٍ، كَأَنَّ الْقَمَرَ يَسِيرُ مِنْ يَثْرِبَ حَتَّىٰ وَقَعَ فِي حِجْرِي، فَكَرِهْتُ أَنْ أُخْبِرَ بِهَا أَحَدًا، مِنَ النَّاسِ حَتَّىٰ قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فَلَمَّا سُبِيت [أُسِرت] رَجَوْتُ الرُّؤْيَا، قَالَتْ: فَأَعْتَقَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَزَوَّجَنِي وَاللهِ مَا كَلَّمْتُهُ فِي قَوْمِي، حَتَّىٰ كَانَ الْمُسْلِمُونَ هُمُ الَّذِينَ أَرْسَلُوهُمْ، وَمَا شَعَرْتُ إِلَّا بِجَارِيَةٍ مِنْ بَنَاتِ عَمِّي تُخْبِرُنِي الْخَبَرَ، فَحَمِدْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ (1).

سبحان الله العظيم.. كيف سيكون حال امرأة ابتلي قومها بحرب، فلم يقدروا علىٰ رد الغزاة، ثم قُتِل منهم مَنْ قُتِل، وسُبِيَ منهم مَنْ سُبِي، ولم تكن ممن نجىٰ، بل كانت ممن سُبِي.

كيف سيكون أثر هذا البلاء علىٰ قلبها؟

---

(1) «دلائل النبوة» للبيهقي.

[redacted]

أين سيذهب بها تفكيرها؟

من سيكون سيدها؟ وكيف سيعاملها؟

كيف ستنجو من هذا الكرب وهذه المصيبة التي وقعت علىٰ رأسها؟

أسئلة كثيرة ثقيلة علىٰ نفسها بعد هذا البلاء والحِمْل الذي وقع علىٰ أكتافها، ثم يدخل نور إلىٰ القلب، يحمل الرؤيا التي قد رأتها قبل هذا البلاء.

يذكرها ربها سبحانه بهذه الرؤيا لتصبر علىٰ أمره، ولترجو خيره، و لتحسن الظن به.

فمن لم يصب بمصابها أولىٰ بحسن الظن منها.

وفقنا الله وإياكم لحسن الظن به.

وأعجب من هذه القصة وإن كانت شبيهتها:

لما توجه النبي ﷺ لفتح خيبر، تحصَّنت يهود فِي حصونهم، وَكَانَت حصونا كَثِيرَة، فَكَان من بين هذه الحصون حصنا يدعىٰ (القموص) وَهُوَ حصن بني أبي الْحقيق، وَمن سَبَايَا ذَلِك الْحصن كَانَت بطلة قصتنا (صَفِيَّة بنت حييّ بْن أَخطب)، وَكَانَت تَحت كنَانَة بْن الرّبيع بْن أبي الْحقيق.

فأُسِرَت هي وبِنْتَيْ عَمٍّ لَهَا، فوهب رسول الله ﷺ صَفِيَّة للصحابي

[redacted]

الجليل (دحية بْن خَليفَة الْكَلْبِيّ)، ثمَّ ابتاعها منه بسبعة من السبايا، ثمَّ أردفها خَلفه، وَألقىٰ عَلَيْهَا رِدَاءَهُ، فَعلم أَصْحَابه أَنه اصطفاها لنَفسِهِ، وَجعلهَا عِنْد أم سليم حَتَّىٰ اعْتدت وَأسْلمت، وخيَّرها بين أن يعتقها ويتزوجها، وبين أن يسلمها لتلحق بأهلها، فاختارت أن يعتقها ويتزوجها، فتزوجها رسول الله ﷺ وجعل عِتْقُها صداقُها.

تأملوا كيف يدبر الله الأمور، وكيف يرتب الأحداث، وكيف يضيق الأحوال، وكيف يفرجها، وكيف يهدي أقوام ويضل آخرين، وكيف يجعل العواقب شرا لأناس وخيرا لآخرين.

امرأة يهودية بنت رجل من أكابر وسادات اليهود، وأشدهم تعصبًا وبغضًا لرسول الله ﷺ، ولما جاء به..

هل من الممكن أن تتخيل أنها تترك دينها، ودين آبائها، وتعتنق دينًا غيره؟ وليس أي دين، فهذا دين الإسلام، الذي أقسم أبوها علىٰ محاربته حتىٰ يموت.

هل كان من الممكن أن تتصور أنها تصبح مسلمة، زوجة رجل مسلم؟ فضلا علىٰ أن تكون زوجة سيد البشر ﷺ؟

هل تمنت يومًا ما أن سيكون لها منزلة ومكانة عالية في أمة الإسلام، وأنها ستكون أما للمؤمنين؟

ببساطة... هذا الذي حصل، وهذا الذي أمر الله أن يكون، فكان، والحمد لله علىٰ فضله وإحسانه إلىٰ عباده.

فأولىٰ بمن كانت في عافية، وجعلها الله مسلمة، ومتعها الله بجوار أهلها، أو بمن يرعاها، وكانت نعم الله عليها تترا، أن تحسن الظن بربها فيما ترجوه، فما أعطاها الله و وهبها إياه قبل أن تسأل؛ أكبر وأوضح دليل علىٰ عناية الله بها.

فلتحسن الظن بربها، فلا أرحم منه بعباده.

ومع قصة زواج المرأة الحكيمة التي قربت من الكمال:

عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا - إِلَّا أَجَرَهُ اللهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**».

قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: اللَّهُمَّ عِنْدَكَ أَحْتَسِبُ مُصِيبَتِي هَذِهِ، وَلَمْ تَطِبْ نَفْسِي أَنْ أَقُولَ اللَّهُمَّ اخْلُفْنِي مِنْهَا بِخَيْرٍ مِنْهَا، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ: وَأَعْقِبْنِي خَيْرًا مِنْهَا، فَقُلْتُ: مَنْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أليس، وليس؟

قَالَتْ: ثُمَّ عَزَمَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِي، فَقُلْتُهَا، اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، قَالَتْ: فَتَزَوَّجْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ[1].

تأملوا.. كيف كان وفاء هذه المرأة لزوجها، وكيف كان تقديرها

(1) رواه أحمد، ومسلم، وأبو يعلىٰ في «الزوائد».

له، وكيف كانت منزلته عندها، كي لا تطيب نفسها أن تدعو الله أن يبدلها خيرًا منه، كأنها تقول بلسان حالها ومن أعماق قلبها: ليس هناك رجل خير من أبي سلمة.

علاقة بين زوجين بمثل هذا الجمال وبقدر هذا العمق والمودة والرحمة، كيف يصبر أحد منهما إذا فقد الآخر، إلا إذا كان عبدًا مستقيمًا علىٰ طاعة الله، مستسلمًا لقضاء الله، موقنا بوعد الله، محسن الظن بما عند الله.

وهذا الذي حصل مع أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حين اتبعت حديث رسول الله ﷺ، مع أنها لم تذكر أحد خيرًا من زوجها المتوفَّىٰ، إلا أنها قالت الدعاء كاملًا، فكان من بركة طاعتها أنها رزقت حسن الظن بربها، فعوضها ربها خير من أبي سلمة ومن الناس أجمعين، سيد البشر محمد ﷺ، وصارت أما للمؤمنين.

بل وكان النبي ﷺ يحب مجالستها كثيرًا وبصورة ملحوظة، فهذه أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين كان النبي ﷺ يخبرها أنه كان عند أم سلمة، تقول له: ما تشبع من أم سلمة؟!!

فمن استقامت علىٰ أمر الله، وثبتت علىٰ طاعته، وصبرت علىٰ ما قدره الله عليها، وقدمت رضا ربها علىٰ هواها وعقلها، أتتها البركات وتوالت عليها الخيرات فوق ما ترجو وتحب، فلْنُطِعْ ربَّنا إذن.. ولنحسن به الظن.

وافقت النيات، فكانت البركات:

كان نجم الدين أيوب (أمير تكريت)، ولم يتزوج لفترة طويلة، فلما سأله أخوه أسد الدين، لماذا لا يتزوج؟ فأجابه نجم الدين: لا أجد من تصلح لي، فعرض عليه أخوه (ابنة ملك شاه) السلطان السلجوقي، و(ابنة نظام الملك) الوزير العباسي، فكان جواب نجم الدين إنهم لا يصلحون لي. ما أعجبَ أمره! يرفض الجاه والنسب والجمال.

فتعجب منه أخوه وقال له: ومن يصلح لك؟ قال نجم الدين: (إنما أريد زوجة صالحة، تأخذ بيدي إلىٰ الجنة، وأنجب منها ولدًا تحسن تربيته، حتىٰ يشب، ويكون فارسًا، ويعيد للمسلمين بيت المقدس)، حينها كان بيت المقدس محتلًا من قبل الصليبين، وكان نجم الدين وقتها في العراق بينه وبين بيت المقدس مسافات شاسعة، ولكن قلبه وعقله كانا معلقين في بيت المقدس.

فلم يعجب أخاه كلامه فقال: من أين لك هذه؟ قال: من أخلص لله النية، رزقه الله المعين.

حتىٰ جاء أمر الله في يوم جلس نجم الدين فيه إلي شيخ من الشيوخ في مسجد، فجاءت فتاة تنادي علىٰ الشيخ من وراء الستار، فاستأذن الشيخ من نجم الدين ليكلم الفتاة، ونجم الدين جالس يسمع الشيخ وهو يقول لها: لماذا رددتي الفتىٰ الذي أرسلته إلي بيتكم ليخطبك؟ فقالت له: ونِعْم الفتىٰ هو من الجمال والمكانة، ولكنه لا

يصلح لي، فقال وماذا تريدين؟ فأجابت: (يا سيدي أريد فتىٰ يأخذ بيدي إلي الجنة، وأنجب منه ولدًا يصبح فارسًا، يعيد للمسلمين بيت المقدس، أريد رجلًا ينجب من يحرر بيت المقدس).

نفس الكلمات التي قالها نجم الدين، هي نفس الكلمات التي تقولها الفتاة للشيخ، فما كان من نجم الدين إلا أنه أراد الزواج من هذه الفتاة.

فقال الشيخ، إنها من فقراء الحي، قال نجم الدين: هذه من أريدها، وهذا من قوله تعالىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾ [الروم: 21] فتزوجها.

وبالفعل من أخلص النية رزقه الله المعين، فأنجب نجم الدين ولدًا أعاد للمسلمين بيت المقدس، وأسماه صلاح الدين، فكان صلاح الدين إذا لعب مع الأطفال في الحي قالا له والداه: أنت موجود لتحرير الأقصىٰ، لا للعب هنا.

وتأملوا معي هذه القصة المعبرة المؤثرة التي تحكيها صاحبتُها بنفسها فتقول:

أنا سيدة في الثامنة والثلاثين من العمر، نشأت في أسرة ميسورة الحال، وعشت في كنفها حياة هادئة إلىٰ أن تخرجت في الجامعة، وعقب التخرج التحقت بعمل ممتاز يدر علي دخلًا كبيرًا، وأحببت عملي كثيرًا، وأعطيته كل اهتمامي، وتقدمت فيه سريعًا حتي تخطيت كثيرين من زملائي.

وكنت خلال مرحلة الجامعة قد ارتديت الحجاب بإرادتي واختياري، وبدأ الخُطَّاب يتقدمون إليَّ، لكني لم أجد في أحدهم ما يدفعني للارتباط به، ثم جرفني العمل والانشغال به عن كل شيء آخر، حتىٰ بلغت سن الرابعة والثلاثين وبدأت أعاني النظرات المتسائلة عن سبب عدم زواجي حتىٰ هذه السن.

وتقدم إلي شاب من معارفنا يكبرني بعامين، وكان قد أقام عقب تخرجه عدة مشروعات صغيرة باءت كلها بالفشل، ولم يحقق أي نجاح مادي، وكان بالنسبة إليَّ محدود الدخل، لكني تجاوزت عن هذه النقطة، ورضيت به، وقررت أنني بدخلي الخاص سوف أعوض كل ما يعجز هو بإمكاناته المحدودة عنه، وستكون لنا حياة ميسورة بإذن الله.

وبدأنا نعد لعقد القران، وطلب مني خطيبي صورة من بطاقتي الشخصية ليستعين بها في ترتيب القران.. ولم أفهم في ذلك الوقت مدىٰ حاجته لهذه الصورة لكني أعطيتها له.

وفي اليوم التالي فوجئت بوالدته تتصل بي هاتفيًا، وتطلب مني بلهجة مقتضبة مقابلتها علىٰ الفور.. وتوجست خيفة من لهجتها المتجهمة، وأسرعت إلي مقابلتها، فإذا بها تخرج لي صورة بطاقتي الشخصية وتسألني هل تاريخ ميلادي المدون بها صحيح؟!

وأجبتها بالإيجاب وأنا أزداد توجسًا وقلقًا، ففوجئت بها تقول

لي: إذن فإن عمرك يقترب الآن من الأربعين، وابتلعت ريقي بصعوبة، ثم قلت لها بصوت خفيض: إن عمري 34 عامًا، فقالت: إن الأمر لا يختلف كثيرا لأن الفتاة بعد سن الثلاثين تقل خصوبتها كثيرًا، وهي تريد أن ترىٰ أحفادًا لها من ابنها.. لا أن تراه وهو يطوف بزوجته علىٰ الأطباء جريًا وراء الأمل المستحيل في الإنجاب منها.

ولم أجد ما أقوله لها، لكني شعرت بغصة شديدة في حلقي، وانتهت المقابلة وعدت إلىٰ بيتي مكتئبة.. ومنذ تلك اللحظة لم تهدأ والدة خطيبي حتىٰ تم فسخ الخطبة بيني وبينه، وأصابني ذلك بصدمة شديدة لأنني كنت قد أحببت خطيبي، وتعلقت بأمل السعادة معه، لكنه لم ينقطع عني بالرغم من فسخ الخطبة، وراح يعدني أنه سيبذل كل جهده لإقناع والدته بالموافقة علىٰ زواجنا، ووجدت أنني في حاجة إلىٰ وقفة مع النفس ومراجعة الموقف كله.. وانتهيت من ذلك إلىٰ قرار ألا أمتهن نفسي أكثر من ذلك، وفعلت ذلك ورفضت الرد علىٰ اتصالات خطيبي السابق.

ومرت ستة أشهر عصيبة من حياتي.. ثم أتيحت لي فرصة السفر لأداء العمرة، فسافرت لكي أغسل أحزاني في بيت الله الحرام، وأديت مناسك العمرة، ولُذْتُ بالبيت العتيق وبكيت طويلًا ودعوت الله أن يهيئ لي من أمري رشدًا، وفي إحدىٰ الأيام كنت أصلي في الحرم، وانتهيت من صلاتي وجلست أتأمل الحياة فيسكون، فوجدت سيدة إلىٰ

جواري تقرأ في مصحفها بصوت جميل، وسمعتها تردد الآية الكريمة: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: 113] فوجدت دموعي تسيل رغمًا عني بغزارة، فالتفتت إلي هذه السيدة وجذبتني إليها، وراحت تربت علىٰ ظهري بحنان وهي تقرأ لي سورة الضحىٰ، إلىٰ أن بلغت الآية الكريمة: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ [الضُّحىٰ: 5]، فخيل إليّ أنني أسمعها لأول مرة في حياتي، مع أني قد رددتها مرارًا من قبل في صلاتي.. وهدأت نفسي، وسألتني السيدة الطيبة عن سبب بكائي، فرويت لها كل شيء بلا حرج، فقالت: إن الله قد يجعل مع كل عسرٍ يسرًا، وإنني الآن في العسر الذي سوف يليه يسرٌ بإذن الله، وإن ماحدث لي كان فضلًا من الله، لأن في كل بليةٍ نعمةً خفية كما يقول العارفون، وشكرتها بشدة علىٰ كلماتها الطيبة، ودعوت لها بالستر في الدنيا وفي الآخرة.

وانتهت فترة العمرة وجاء موعد الرحيل، وبعد انتهاء إجراءات المطار، خرجت فوجدت أقرب صديقاتي وزوجها في صالة الانتظار، فهنأتني بسلامة العودة، سألتُ عما جاء بهما للمطار، فأخبراني أنهما بانتظار صديق الزوج عائدًا علىٰ نفس الطائرة التي جئت بها.

ولم تمض لحظات إلا وجاء هذا الصديق، فإذا به هو نفسه جاري في مقاعد الطائرة، ثم غادرت المكان أنا ووالدي، وما أن وصلت إلىٰ البيت وبدلت ملابسي واسترحت بعض الوقت؛ حتىٰ وجدت

صديقتي تتصل بي، وتقول لي: إن صديق زوجها معجب بي بشدة، ويرغب في أن يراني في بيت صديقتي في نفس الليلة لأن خير البر عاجله، ثم أخبرتني أن زوجها يسهب في مدح صديقه، والإشادة بفضائله، ويقول عنه أنه رجل أعمال، شاب من أسرة معروفة، وعلىٰ خلق ودين، ولا يتمنىٰ لي من هو أفضل منه لكي يرشحه للارتباط بي.

وخفق قلبي لهذه المفاجأة غير المتوقعة.. واستشرت أبي..

ولم تمض أيام أخري حتىٰ كان قد تقدم لي..

ولم يمض شهر ونصف الشهر بعد هذا اللقاء حتىٰ كنا قد تزوجنا، وقلبي يخفق بالأمل بالسعادة، وحديث السيدة الفاضلة في الحرم عن اليسر بعد العسر يتردد في أعماقي.

وبدأتُ حياتي الزوجية متفائلة وسعيدة، ووجدت في زوجي كلما تمنيته لنفسي في الرجل الذي أسكن إليه؛ من حب وحنان وكرم وبر بأهله وأهلي، غير أن الشهور مضت ولم تظهر عليّ أية علامات الحمل، وشعرت بالقلق خاصة أنني كنت قد تجاوزت السادسة والثلاثين، وطلبت من زوجي أن أجري بعض التحاليل والفحوص خوفًا من ألا أستطيع الإنجاب، فضمني إلىٰ صدره وقال لي بحنان غامر إنه لا يهمه من الدنيا سواي، وإنه ليس مهتما بالإنجاب، لأنه لا يتحمل صخب الأطفال وعناءهم، لكني أصررت علىٰ مطلبي.. وذهبنا

إلىٰ طبيبة كبيرة لأمراض النساء، وطلبت مني إجراء بعض التحاليل، وجاء موعد تسلم نتيجة أول تحليل منها ففوجئت بها تقول لي: إنه لا داعي لإجراء بقيتها لأنه.. مبروك يا مدام.. أنت حامل!

فلا تسألوا عن فرحتي وفرحة زوجي بهذا النبأ السعيد.. وغادرتُ عيادة الطبيبة وأنا أشد علىٰ يدها شاكرة لها بحرارة.

وفي ذلك الوقت كان زوجي يستعد للسفر لأداء فريضة الحج، فطلبت منه أن يصطحبني معه لأداء الفريضة، وأداء واجب الشكر لمنْ أنعمَ عليّ بهذه النعم الجليلة، ورفض زوجي ذلك بشدة، وكذلك طبيبتي المعالجة، لأنني في شهور الحمل الأولىٰ. .لكني أصررت علىٰ مطلبي وقلت لهما: أنَّ مَنْ خَلَق هذا الجنين في أحشائي علىٰ غير توقع؛ قادر علىٰ أن يحفظه من كل سوء، واستجاب زوجي لرغبتي بعد استشارة الطبيبة، واتخاذ بعض الاحتياطات الضرورية، وسافرنا للحج، وعدتُ وأنا أفضل مما كنت عليه قبل السفر.

ومضت بقية شهور الحمل في سلام، وإن كنت قد عانيت معاناة زائدة بسبب كبر سني، وحرصت خلال الحمل علىٰ ألا أعرف نوع الجنين، لأن كل ما يأتيني به ربي خيرٌ وفضلٌ منه ، وكلما شكوت لطبيبتي من إحساسي بكبر حجم بطني عن المعتاد؛ فسَّرته لي بأنه يرجع إلىٰ تأخري في الحمل إلىٰ سن السادسة والثلاثين.

ثم جاءت اللحظة السحرية المنتظرة، وتمت الولادة، وبعد أن

أفقت دخلت علي الطبيبة وسألتني مبتسمة عن نوع المولود الذي تمنيته لنفسي، فأجبتها بأنني تمنيت من الله مولودًا فقط، ولا يهمني نوعه.. ففوجئت بها تقول لي: إذن ما رأيك في أن يكون لديك الحسن والحسين وفاطمة؟!

لم أفهم شيئًا وسألتها عما تقصده بذلك، فإذا بها تقول لي وهي تطالبني بالهدوء والتحكم في أعصابي: إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد منَّ عليّ بثلاثة أطفال، وكأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أراد لي أن أنجب خلفةَ العمر كلها دفعة واحدة، رحمةً منه بي لكبر سني، وأنها كانت تعلم منذ فترة بأنني حامل في توأم، لكنها لم تشأ أن تبلغني بذلك لكي لا تتوتر أعصابي خلال شهور الحمل ويزداد خوفي، ولم أسمع بقية كلامها، فلقد انفجرت في حالة هستيرية من الضحك والبكاء، وترديد عبارات الحمد والشكر لله.. وتذكرت سيدة الحرم الشريف.. والآية الكريمة ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ ﴾[الضُّحىٰ: 5] وهتفت أن الحمد لله.. الذي أرضاني وأسبغ عليَّ أكثر مما حلمت به من نعمته.

أما زوجي الذي كان يزعم لي أنه لا يتحمل صخب الأطفال وعناءهم لكي يهوِّن عليَّ همي، فلقد كاد يفقد رشده حين رأىٰ أطفاله الثلاثة، وراح يهذي بكلمات الحمد والشكر لذي الجلال والإكرام، حتىٰ خشيت عليه من الانفعال، وأصبح من هذه اللحظة لا يطيق أن يغيب نظرُه عنهم.

وإنني أرجو أن تصل رسالتي هذه إلىٰ كل فتاة تأخر بها سن الزواج، أو سيدة تأخر عنها الإنجاب، وأنصحهنَّ ألا يقنطن من رحمة الله، وألا يقطعن الرجاء في الخالق العظيم، وألا يمللن سؤاله والدعاء إليه أن يحقق إليهن آمالهن في الحياة، فلقد كنت أردد دائما دعائي المفضل:

ربي إنْ لم أكُنْ أهلًا لبلوغ رحمتك؛ فرحمتُك أهلٌ لأن تبلغني لأنها قد وسعت كل شيء.

ولتعلم كل مؤمنة بالله إنْ تأخر عليها أيُّ أمر من أمور الدنيا ولم تدركه؛ فالموعد الآخرة مع نعيم لا ينفد، ومع الجزاء الأوفىٰ الذي يناله الصابرون المحتسبون المتوكلون المتيقنون المحسنون الظن بالله تعالىٰ.



من اختارت عدم الزواج لنية في نفسها

امرأة تزاحم النبي ﷺ عند باب الجنة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُفْتَحُ لَهُ بَابُ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنَّهُ لتَأْتِي امْرَأَةٌ تُبادرني، فَأَقُولُ لَهَا: مَالَكِ، فَمَنْ أَنْتِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا امرأةٌ قعدت على أيتام لي»[1].

كم من زوجة توفي عنها زوجها وهي لا زالت صغيرة في السن، وعلى قدر من الجمال، وتقدم لها من هو كفؤ لها، فردتهم بلطف، وعزمت على الانشغال بتربية أطفالها، حتى تموت، رجاء وحسنَ ظنٍّ أن يجمعها الله بأبيهم في الجنة.

قصة العالمة المحققة السورية سكينة الشهابي:

انشغلت سكينة الشهابي بكتب الحافظ ابن عساكر سنين طويلة، حتى ملك عليها شغاف قلبها وتعلقت به وأحبته، فكان لها قصة عشق مع حافظ الدنيا ابن عساكر وكتابه التاريخ، وكانت قد حققت أجزاء كثيرة منه، تحقيقًا متقنًا في مشروع عمرها، لكنها لم تتمه، وطبع في مجمع اللغة العربية بدمشق.

---

(١) رواه أبو يعلى، وحسنه المنذري، وابن حجر.

وكانت قد عاشت يتيمة، وماتت فقيرة عن عمر 75 عامًا، رحمها الله تعالىٰ رحمة واسعة.

توفيت ولم تتزوج علىٰ أمل أن يرزقها الله بابن عساكر زوجًا لها في الجنة.

(توفيت العالمة المحققة سكينة الشهابي 1427 هـ، بينما توفي الحافظ ابن عساكر 571 هـ)

نسأل الله تعالىٰ أن يبلغ أَمَتَه سكينة الشهابي أملها ورجاءها وحسن ظنها فيه، ويزوجها بعبده أبي القاسم بن عساكر في الجنة، إنه ولي ذلك والقادر عليه... آمين.

عائشة بنت أحمد القرطبية:

قال ابن حبان: لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يعادلها علمًا وفهمًا، وأدبًا وفصاحةً وشعرًا وكانت تمدح ملوك الأندلس وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة، وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف.

وماتت عذراء لم تتزوج، وكانت وفاتها سنة 400 هـ.

فَاطِمَةُ بِنْتُ الْمُقْرِئِ الْمُحَدِّثِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَنْصَارِيِّ الدِّمَشْقِيِّ:

قال الذهبي: أَجَازَ لَهَا الكثير من العلماء، مثل: الْفَتْحُ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ بْنُ الْوَسْطَانِيِّ، وَأَبُو عَلِيٍّ الْجَوَالِيقِيُّ، وَالْمَجْدُ



الْقَزْوِينِـيُّ، وَطَائِفَـةٌ، وَسَـمِعَتْ مِـنَ الْمُسْـلِمِ الْمَـازِنِيِّ، وَابْـنِ رَوَاحَـةَ، وَكَرِيمَةَ، وَتَفَرَّدَتْ، وَأَكْثَرَ عَنْهَا الْجَمَاعَةُ بِالإِجَازَاتِ الْعَالِيَةِ.

صَالِحَةٌ عَابِدَةٌ كَثِيرَةُ الإِيثَارِ، مَاتَتْ فِي رَبِيعِ الآخِرِ سَنَةَ 708 هـ، ولَمْ تَتَزَوَّجْ قَطُّ.

زَيْنَبُ بِنْتُ الْكَمَالِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَحْمَدَ الْمَقْدِسِيَّةُ:

شَيْخَةٌ صَالِحَةٌ مُتَوَاضِعَةٌ خَيِّرَةٌ مُتَوَدِّدَةٌ كَثِيرَةُ الْمُرُوءَةِ.

وَطَالَ عُمُرُهَا حتىٰ عاشت 94 سنة، وَاشْتَهَرَ ذِكْرُهَا.

تُوُفِّيَتْ فِي جُمَادَىٰ الأُولَىٰ سَنَةَ 740 هـ عَنْ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، لم تتزوج قط.

زَيْنَبُ بِنْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قُدَامَةَ:

سيدة كَيِّسَةٌ مُتَوَاضِعَةٌ خَفِيفَةُ الرُّوحِ، ماتت ولَمْ تَتَزَوَّجْ قَطُّ.

ماتت عن عمر 70 سنة تقريبا.

كريمة أم الكرام بنت أحمد بن محمد المروزية:

الشيخة، العالمة، الفاضلة، المُسْنِدة، أم الكرام كريمة بنت أحمد ابن محمد بن حاتم المروزية، المجاورة بحرم الله.

وكانت إذا روت قابلت بأصلها، ولها فهم ومعرفة مع الخير والتعبد.

روت (كتاب البخاري) مرات كثيرة؛ منها مرة بقراءة أبي بكر الخطيب في أيام الموسم.

وماتت بكرًا لم تتزوج أبدًا.

هذه القصص موجهة لمن دب اليأس في قلبها لتأخر زواجها، ليكون لها مَنْفَسا شرعيا تخرج به من حال اليأس والوهن والكسل إلىٰ الرجاء والعمل والأمل.

ونختم هذا الفصل بما قاله أحد الفضلاء يكشف بعض خفايا الحكمة، وينصح بلطف ورقة من تأخَّر أو لم يُوفَّق في زواجه، وما أجمله من كلام، يقول:

درب الجنة ليست عليه لافتة «**للمتزوجين فقط**»!!

- يا أيها المجتمع الجاهل ليس ذنبُها أن النصيب لم يأتِبعد.. وقد لا يأتي.

- يا من تتدخلون فيما لا يعنيكم وليس من شأنكم.. ليتكم توفرون أيديكم بجانبكم؛ فهي لا تنتظر منكمعطف ولا مواساة.. وليتكم لا تتعبون شفاكم باستحضار التأثُّرالمعتاد، مع الدعوة بابن الحلال يدق الباب

- يا أيتها الأم المشتاقة لحبيبتها في الفستان الأبيض.. امسحي دموعك واحمدي الله..

احمدي الله أنها في صحبتكِ وبجوارك بصحتها وعافيتها ودينها وكرامتها..

كرامتها التي قد يبعثرها نذلٌ جبانٌ لا يرقب فيها إلًّا ولا ذمةً.. لا تأبهي بأحد من الناس.. هكذا هم الناس..

سيحسدونها إنْ كانت سعيدة في بيت زوجها، ويجرحونك بنظرات الحقد..

وسيقتلونك معها لو أتتك يومًا غاضبة أو علىٰ شفا طلاق مع صغيرٍ علىٰ كتفها برصاصات الشماتة، ونصائح السماجة من ألسنة حِداد..

احمدي الله أنها مُكرَّمة في بيت أبيها..

- يا أيها الأب الذي يرنو لقطف ثمرة تربيته.. أنت لم تُربِّها لتتزوج وتُنجِب.. وتأتيك بمن يُسعِد قلبك بكلمة: «**جدو**».

أنت ربيتها لتعبد الله.. والأصل ألا تحرص علىٰ تزويجها إلا ليكون عونًا لها علىٰ هذه المهمة السامية..

احمد الله أنِ ابتلاها بالمنع.. كما ابتلىٰ غيرها بالعطاء..

احمد الله أنْ متَّعك بحنانها في البيت.. وصوتها بالقرآن يعطِّر أركانه..

احمد الله أنْ أبقىٰ لك من تجيب نداءك.. وتمسح أوجاعك.. وتتفاعل مع حديثك..

احمد الله أنْ رزقك بمن قد تكون -دون إخوانها وأخواتها- سببًا لدخولك الجنة..

- يا من تزوجتِ.. لستِ أفضل ممن لم تتزوج.. أنت رهن الابتلاء مثلُها تمامًا.. ورزق الله لا يتوقف علىٰ جمال، ومستوىٰ تعليمي أو اجتماعي

- يا من لم تتزوجي.. فَرَّغكِ الله لعبادته، فاغتنمي - في حياتك أشياء جميلة، فاستثمري..

فقط انظري من أعلىٰ بعين السُّمُو علىٰ دنيا -بكل ما فيها- حقيرة..

- يا أيها الناس كلكم مبتلىٰ.. بالخير والشر.. بالنعمة وسَلْبِها.. بالزواج وعدمِه.

أجر الشهادة لمن ماتت دون أن تتزوج:

ومن رحمة الله سبحانه بالمرأة التي عانت في حياتها من زواج حلمت به وتمنته، وأمان واستقرار نفسي رجته، وأملًا في حياة عفيفة سعيدة طالما انتظرتها، فلم تجد الشخص المناسب، أو أعضلها أهلها، ثم ماتت دون أن تتزوج؛ فإنها عند الله بمنزلة الشهيد، ولها أجر الشهيد، فقد قال رسول الله ﷺ: «... **والمرأة تموت بِجُمْعٍ شهيدة**»، وفي بعض الروايات: «**والمرأة تموت جمعاء شهيدة**».

ومن إحدى معاني هذا الحديث كما قال بعض أهل العلم: هي المرأة التي تموت بكرًا ولم تتزوج، فلشدة ما وجدت في حياتها رفع الله درجتها وأجزل لها الثواب فبلغها مراتب الشهداء.

من لم يتزوج في الدنيا؛ زوجه الله في الجنة:

ومن لطف الله عَزَّوَجَلَّ بنا أنه مَنْ لم تتزوج في الدنيا؛ زوجها الله رجلًا صالحًا من أهل الجنة، وكذلك الرجال، فقد قال ﷺ: «**مَا فِي الْجَنَّةِ أَعْزَبُ**».

فأحسنوا جميعًا الظن بربكم... فو الله ما يقضي ربُّنا إلا الخير.



5- الـذُّرِّيَّـــة

الذرية هبة من الله، فعلىٰ العبد أن يستوهبها من الله بالدعاء والرجاء، وهو يفعل ما يشاء، وكلُّ فعلِه سبحانه خيرٌ للناس لو كانوا يعلمون.

قد يكون الولد سببًا لشقاء والديه:

في سورة الكهف المباركة ذكر الله تعالىٰ فيها أن الخضر عليه السلام لما أذن لموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يصحبه وانطلقا حتىٰ إذا أتيا أهل قرية فإذا غلمان يلعبون خلفها، فيهم غلام ليس في الغلمان أظرف منه، ولا أوضأ منه، فأخذه بيده، وأخذ حجرًا، فضرب به رأسه حتىٰ دمغه فقتله، فرأىٰ موسىٰ أمرًا فظيعًا لا صبر عليه، صبيّ صغير لا ذنب له ﴿ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ أي: صغيرة بغير نفس ﴿ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾[الكهف: 74- 76].

فلما جاء وقت الحقيقة وإظهار الحكمة من وراء هذا الفعل؛ قال الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾

[الكهف: 80- 81]، وقد ذكر ذلك رسول الله ﷺ حين قال: «**إِنَّ الْغُلَامَ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طُبِعَ كَافِرًا وَلَوْ عَاشَ لَأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا**»، وقد عوض الله والديه بولد خيرًا منه برًا و صلاحًا وأطهر دينًا، فسبحان من لا يعلم الغيب إلا هو.

فإن دعوت الله ورجوته وبذلت ما تستطيع من أسباب، ومع ذلك لم يقدر الله الإنجاب ولم يكتب لك ذرية، فلتحسن الظن بربك، ولتثق بعوضه سبحانه، ولا تظن أنك حُرِمت، بل أنت في الحقيقة رُحِمت.

قد يؤخر الله الذرية ليسمع دعاءك أكثر، ويوصلك لدرجة عالية من الافتقار إليه، فيجمع لك أجر الصبر، وحلاوة الجبر:

هذه القصة العجيبة في تفاصيلها والجميلة في تقديرها لأحد أصحابي شخصيًا وقد شهدتها بنفسي، كان صاحبي قد تزوج منذ سنين ولم يرزق بالذرية رغم الأخذ بالأسباب والدعاء والصدقات، إلا أن الله قد أخر إجابة دعائه، وفي إحدى مواسم الحج ذكَّره أحد إخوانه في الله بفريضة الحج، وكيف لمثله أن يؤخرها كل هذه السنين، مع أنه ميسور الحال، وصحته جيدة، وليس هناك مانع يمنعه، فانتفع صاحبي بالنصيحة، ولكن كان هناك مشكلة كبيرة وهي أن المكاتب والجهات المعنية بالتأشيرات قد أغلقت أبوابها ولم يبق لديها مزيد من التأشيرات، خاصة وأن اليوم الذي قرر فيه صاحبي أن يحج كان يوم

القِر الثامن من ذي الحجة، فلم يعد هناك أملًا لأن يحج هذا العام، ومع ذلك لم ييأس صاحبي وأخذ باللجوء والتضرع إلىٰ الله أن ييسر له الحج هذا العام ولا يذيقه ألم الحرمان، وبعد مرور بضع ساعات إذ يتصل به أحد المكاتب التي طرق بابها ويخبره أن أحد الأشخاص عرض له عارض قوي جدًا اضطره أن يرجع التأشيرة وأنه لن يستطيع الحج هذا العام، فسجد صاحبي شكرًا لله وهو يبكي، وذهب مسرعًا للمكتب واستلم التأشيرة، وسافر يوم عرفة التاسع من ذي الحجة، وأدرك بفضل الله الوقوف بعرفة، وفتح الله له في الدعاء، ولما رأىٰ من فضل الله عليه ما يطمعه في كرمه الواسع، دعا ربه بدعاء خاص، ولم يخبر به حتىٰ زوجته، وأتم صاحبي المناسك، ورجع مسرورًا فرحًا بفضل الله عليه إلىٰ أهله، و.... وجاء الخبر السعيد، حيث تأكد من حمل زوجته، فسجد لله شكرًا، وأخبرها أنه لم يكن يشك قط بعد هذا التيسير في الحج وفي الدعاء وفي هذا الوقت بالذات أن الله سيجبرهم ويرزقهم الذرية، وأن حسن الظن بالله تعالىٰ هو المستولي علىٰ قلبه منذ سمع نصيحة أخيه وشرح الله صدره واستجاب لها.

وبعد مرور أشهر قليلة، ذهب صاحبي إلىٰ الطبيب لعمل السونار ليتأكدوا من نوع الجنين، فلما انتهىٰ الطبيب من عمل السونار؛ بشرهم بأن الجنين سليم تمامًا بفضل الله، وأنها أنثىٰ، فغمرت الفرحة زوجته، ولكن لما نظرت إلىٰ صاحبي لم تظهر فرحته علىٰ وجهه، ولما ذهبت

تسأله، فاجأها وفاجأ الطبيب بسؤال غريب؟، قال له: هل أنت متأكد أنه جنين واحد؟، قال السؤال بلهجة الواثق من نفسه، الرافض لنتيجة السونار، ثم قال للطبيب: اذهب فأعد النظر مرة أخرىٰ، فإما أخطأت أو أخطأ الجهاز، وتعجب الطبيب، وتعجبت الزوجة، من نبرة صوته الواثقة الحازمة، فلم يملك الطبيب إلا إعادة الكشف، وكانت المفاجأة... كان في بطن الزوجة بنتان وليس بنتًا واحدة، فلما سألوا صاحبي كيف عرفت وكيف كنت واثقًا لهذه الدرجة، قال لهم صاحبي: لما يسر الله لي الحج، وفتح لي في الدعاء، شعرت بنعمة الله الكبيرة علي، وغمرتني حالة من الشعور بالامتنان لله والاعتراف بتقصيري وجهلي، وتخلل ذلك الشعور باعث قوي في نفسي أن أدعو وأسأل ما شئت فهذا وقت العطاء، فدعوت الله أن يرزقني طفلين، وتلذذت بالدعاء ورزقت حلاوته، لذلك لم يفارق حسن الظن قلبي أن الله سيجيب دعائي ويرزقني طفلين.

سبحان الله العظيم.. كأن الله أخر لصاحبي ذريته، حتىٰ يؤدي فريضته.

فاللهم ردنا إليك ردًا جميلًا، وخذ بنواصينا إليك، وأقبل بقلوبنا عليك، واملأ قلوبنا بحسن الظن بك، والثقة بما في يديك، واليقين فيك، والرجاء فيما عندك، وأجب دعاءنا، واقض حاجاتنا، واجعلنا من الشاكرين.

قد يؤخر الله ذريتك حتى يمتلأ الوعاء:

أما هذه القصة فهي لأحد أصحابي أيضًا، وقد شهدتها من أولها لآخرها، ولكن العبرة فيها مختلفة، وإن كانت في النهاية تحمل علىٰ حسن الظن في الله دومًا.

صاحبي -أحسبه والله حسيبه ولا أزكيه علىٰ الله- من الصالحين، جلسنا مرة فذكرنا أمر الذرية، وكأنه استبطأ الإجابة، وقد تسلل اليأس كدبيب النمل إلىٰ قلبه وقلب زوجته، لاسيما وقد قاموا بفحوصات طبية أكثر من مرة، والنتيجة أنه لا مانع طبي يحول دون الإنجاب، ولكنه أمر الله تعالىٰ، فلم يعترضوا علىٰ قضاء الله، ولكنهم بذلوا الأسباب، وطرقوا الأبواب، حتىٰ أنهم قاموا بإجراء عملية التلقيح الصناعي مرات عديدة، وكل مرة يؤكد لهم الطبيب أنها ستنجح، ولكن لم يقدر الله أن تنجح، حتىٰ ظلل اليأس عليهم بظله الثقيل الذي لا يزيد النفس إلا تعبًا، ولا يزيد القلب إلا وهنًا.

فذكرت له نظرية الوعاء، ولعل سبب التأخير أن الوعاء لم يمتلئ بعد، فسألني صاحبي: وما هي نظرية الوعاء؟ فأجبته: في علم الله وتقديره سبحانه يجعل لكل حاجة من حوائج عباده وعاءًا، فإذا أراد العبد حاجة أو دعا دعوة، فيجب عليه أن يملأ هذا الوعاء، قال لي صاحبي: وكيف نملأ هذا الوعاء؟ قلت له: بأعمال القلب وأعمال

الجوارح، فكما تملأ وعاءك بقراءة القرآن، وصلاة الفرائض والنوافل، والذكر، والدعاء، والصدقات، وبر الوالدين، والإحسن إلىٰ الناس، والأخلاق الحسنة، والأعمال الصالحة المتنوعة؛ كذلك يجب أن تملأ وعاءك بالافتقار إلىٰ الله، والخشية، والمحبة، واليقين، والثقة، والرجاء، وحسن الظن بالله، وحين يمتلئ الوعاء بالقدر الذي يرضاه الله تعالىٰ؛ حينها يجيب الله دعاءك، ويقضي حاجتك.

وقلت له ممازحًا: لعل بقي علىٰ امتلاء الوعاء ختمة قرآن، و5000 صلاة علىٰ النبي، و5000 استغفار، وكذا وكذا صدقات، ودقيقة انكسار لله، ودقيقة صدق لجوء، ودقيقة حسن الظن، وبعدها ستفرج يا صديقي، وقد قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين سئل: كم بيننا وبين العرش؟ فقال: دعوة صادقة، فأحسن يا صديقي الظن بربك ولا تيأس.

وقد أعجبني صاحبي، فقد كان عاقلًا واعيًا، وقد فهم مرادي من ذكر (نظرية الوعاء)، وهو أنه لا ينبغي للعبد أن ييأس أبدًا من رحمة ربه، بل يستمر في ذكره، ودعائه، وصدقه، وافتقاره، وحسن ظنه في ربه، حتىٰ يقضي الله حاجته، فقال لي: قد فهمت، سأستعين بالله علىٰ طاعته، ولن أمل من خدمته، ولن أستبطئ إجابته، حتىٰ يمتلئ الوعاء، ويرضىٰ عني، ويقضي حاجتي.

فوالله ثم والله.. ما مر بضعة أيام حتىٰ فاجأني صاحبي أن زوجته حامل، وأن الحمل مستقر، و.... وأنه قد امتلأ الوعاء.

فاللهم لا تقطع عنا فضلك ولا تقنطنا من رحمتك وابسط لنا من رزقك وبركتك وارزقنا حسن الظن بك في جميع أحوالنا واجعلنا من الشاكرين.



6- المدينون

جلس علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يومًا متأملًا أشد مخلوقات الله سبحانه، فقال:

أشدّ خلق ربك عشرة:

الجبال، والحديد ينحت الجبال، والنار تأكل الحديد، والماء يطفئ النار، والسحاب المسخر بين السماء والأرض يحمل الماء، والريح تقل السحاب، والإنسان يتقي الريح بيده ويذهب فيها لحاجته، والسُّكْر يغلب الإنسان، والنوم يغلب السُّكْر، والهَمُّ يمنع النوم، فأشد خلق ربك الهم[1].

وإن من أشد الهم وأكبر الهم وأصعب الهم.. الديون..

وقد جاءت الشريعة الإسلامية بالتشديد في أمر الدين، والتحذير منه، والترغيب في احتراز المسلم منه، ما أمكنه ذلك:

- فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي ﷺ كان يدعو في الصلاة: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ**»، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ

(1) رواه الطبراني في «الأوسط»، وقال الهيثمي: رجاله ثقات.

مِـنَ الْمَغْـرَمِ؟! فَقَـالَ: «**إِنَّ الرَّجُـلَ إِذَا غَـرِمَ**[1] **حَـدَّثَ فَكَـذَبَ، وَوَعَـدَ فَأَخْلَفَ**»[2].

- وعنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَحْشٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ، ثُمَّ وَضَعَ رَاحَتَهُ عَلَىٰ جَبْهَتِهِ ثُمَّ قَالَ: «**سُبْحَانَ اللهِ! مَاذَا نُزِّلَ مِنَ التَّشْدِيدِ؟**» فَسَكَتْنَا وَفَزِعْنَا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ سَأَلْتُهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هَذَا التَّشْدِيدُ الَّذِي نُزِّلَ؟ فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ أَنَّ رَجُلا قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ أُحْيِيَ، ثُمَّ قُتِلَ، ثُمَّ أُحْيِيَ، ثُمَّ قُتِلَ، وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، مَا دَخَلَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يُقْضَىٰ عَنْهُ دَيْنُهُ**»[3].

- وقد ترك النبي ﷺ الصلاة علىٰ من مات وعليه ديناران، حتىٰ تكفل بسدادهما أبو قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فلما رآه من الغد، وقال له قد قضيتها، قال ﷺ: «**الْآنَ بَرَدَتْ عَلَيْهِ جِلْدُهُ**»[4].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في فتح الباري: (وفي هذا الحديث إشعار بصعوبة أمر الدين وأنه لا ينبغي تحمله إلا من ضرورة).

- وعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ بَرِيءٌ**

---

(1) أي: استدان.

(2) رواه البخاري، ومسلم.

(3) رواه النسائي.

(4) رواه أحمد.

مِنْ ثَلَاثٍ: الْكِبْرِ وَالْغُلُولِ وَالدَّيْنِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»[1].

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّىٰ يُقْضَىٰ عَنْهُ»[2].

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي: قوله: (نفس المؤمن معلقة) قال السيوطي: أي محبوسة عن مقامها الكريم، وقال العراقي: أي أمرها موقوف لا حكم لها بنجاة ولا هلاك حتىٰ ينظر هل يقضىٰ ما عليها من الدين أم لا.

وقد جاء عن كثير من السلف التحذير من الدين أيضًا:

فعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: «إِيَّاكُمْ وَالدَّيْنَ فَإِنَّ أَوَّلَهُ هَمٌّ وَآخِرَهُ حَرْبٌ»[3].

وقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يا حمران! اتق الله ولا تمت وعليك دين، فيؤخذ من حسناتك، لا دينار ثَمَّ ولا درهم[4].

وانطلاقا مما سبق اشترط العلماء لجواز الدين شروطًا ثلاثة:

1- أن يكون المستدين عازما علىٰ الوفاء.

2- أن يعلم أو يغلب علىٰ ظنه قدرته علىٰ الوفاء.

---

(1) رواه الترمذي.

(2) رواه الترمذي.

(3) رواه مالك في «الموطأ».

(4) «مصنف عبد الرزاق».

3- أن يكون في أمر مشروع.

وهذه بشرى عظيمة للمدينين الكادحين:

يقول ابن عبد البر في «التمهيد»:

والدَّيْن الذي يُحبَسُ به صاحبُه عن الجنة، والله أعلم، هو الذي قد تَركَ له وفاءً ولم يوص به، أو قدر على الأداء فلم يؤد، أو ادَّانه في غير حق، أو في سرف ومات ولم يؤده.

وأما من ادَّان في حق واجب لفاقةٍ وعُسْرةٍ، ومات ولم يترك وفاء، فإن الله لا يحبسه به عن الجنة إن شاء الله.

من أجمل القصص في قضاء الدين؛ قصة دَيْن الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكيف قضاه الله عنه:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ:

«لَمَّا وَقَفَ الزُّبَيْرُ يَوْمَ الْجَمَلِ، دَعَانِي فَقُمْتُ إِلَىٰ جَنْبِهِ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّهُ لَا يُقْتَلُ الْيَوْمَ إِلَّا ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ، وَإِنِّي لَا أُرَانِي إِلَّا سَأُقْتَلُ الْيَوْمَ مَظْلُومًا، وَإِنَّ مِنْ أَكْبَرِ هَمِّي لَدَيْنِي، أَفَتُرَىٰ يُبْقِي دَيْنُنَا مِنْ مَالِنَا شَيْئًا؟

ثم قَالَ: يَا بُنَيَّ بِعْ مَالَنَا فَاقْضِ دَيْنِي، وَأَوْصَىٰ بِالثُّلُثِ، وَثُلُثِهِ لِبَنِيهِ - يَعْنِي أولاد عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ - يَقُولُ: ثُلُثُ الثُّلُثِ، فَإِنْ فَضَلَ مِنْ مَالِنَا فَضْلٌ بَعْدَ قَضَاءِ الدَّيْنِ شَيْءٌ، فَثُلُثُهُ لِوَلَدِكَ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَجعَلَ يُوصِينِي بِدَيْنِهِ وَيَقُولُ: يَا بُنَيَّ إِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فِي شَيْءٍ فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَوْلَايَ، قَالَ عبد الله: فَوَاللهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّىٰ قُلْتُ: يَا أَبَةِ.. مَنْ مَوْلَاكَ؟ قَالَ: اللهُ.

قَالَ عبد الله: فَوَاللهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَىٰ الزُّبَيْرِ اقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ، فَيَقْضِيهِ الله عَزَّوَجَلَّ.

فَقُتِلَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَمْ يَدَعْ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِلَّا أَرَضِينَ، مِنْهَا أرض يطلق عليها الْغَابَةُ، وَإِحْدَىٰ عَشْرَةَ دَارًا بِالْمَدِينَةِ، وَدَارَيْنِ بِالْبَصْرَةِ، وَدَارًا بِالْكُوفَةِ، وَدَارًا بِمِصْرَ.

قَالَ: وَإِنَّمَا كَانَ دَيْنُهُ الَّذِي عَلَيْهِ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَأْتِيهِ بِالْمَالِ فَيَسْتَوْدِعُهُ إِيَّاهُ، فَيَقُولُ الزُّبَيْرُ: لَا، وَلَكِنَّهُ سَلَفٌ، فَإِنِّي أَخْشَىٰ عَلَيْهِ الضَّيْعَةَ، وَمَا وَلِيَ إِمَارَةً قَطُّ، وَلَا جِبَايَةَ خَرَاجٍ، وَلَا شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي غَزْوَةٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، أَوْ مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ: فَحَسَبْتُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ فَوَجَدْتُهُ أَلْفَيْ أَلْفٍ وَمِائَتَيْ أَلْفٍ -يعني 2مليون و200ألف-، قَالَ: فَلَقِيَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، كَمْ عَلَىٰ أَخِي مِنَ الدَّيْنِ؟ فَكَتَمَهُ، فَقَالَ: مِائَةُ أَلْفٍ، فَقَالَ حَكِيمٌ: وَاللهِ مَا أُرَىٰ أَمْوَالَكُمْ تَسَعُ لِهَذِهِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ: أَفَرَأَيْتَكَ إِنْ كَانَتْ أَلْفَيْ أَلْفٍ وَمِائَتَيْ أَلْفٍ؟، قَالَ حكيم: مَا أُرَاكُمْ تُطِيقُونَ هَذَا، فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِينُوا بِي.

قَالَ: وَكَانَ الزُّبَيْرُ اشْتَرَىٰ الْغَابَةَ بِسَبْعِينَ وَمِائَةِ أَلْفٍ، فَبَاعَهَا عَبْدُ اللهِ بِأَلْفِ أَلْفٍ وَسِتِّمِائَةِ أَلْفٍ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: مَنْ كَانَ لَهُ عَلَىٰ الزُّبَيْرِ حَقٌّ فَلْيُوَافِنَا بِالْغَابَةِ، فَأَتَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ، وَكَانَ لَهُ عَلَىٰ الزُّبَيْرِ أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ، فَقَالَ لِعَبْدِ اللهِ: إِنْ شِئْتُمْ تَرَكْتُهَا لَكُمْ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: لَا، قَالَ: فَإِنْ شِئْتُمْ جَعَلْتُمُوهَا فِيمَا تُؤَخِّرُونَ إِنْ أَخَّرْتُمْ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: لَا، قَالَ: قَالَ فَاقْطَعُوا لِي قِطْعَةً، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: لَكَ مِنْ هَا هُنَا إِلَىٰ هَا هُنَا، قَالَ: فَبَاعَ مِنْهَا فَقَضَىٰ دَيْنَهُ فَأَوْفَاهُ، وَبَقِيَ مِنْهَا أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ وَنِصْفٌ. ثم قَدِمَ عَلَىٰ مُعَاوِيَةَ وَعِنْدَهُ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ وَالْمُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَابْنُ زَمْعَةَ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: كَمْ قُوِّمَتِ الْغَابَةُ؟ قَالَ: كُلُّ سَهْمٍ مِائَةُ أَلْفٍ، قَالَ: كَمْ بَقِيَ، قَالَ: أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ وَنِصْفٌ، قَالَ: الْمُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ، قَالَ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ، وَقَالَ ابْنُ زَمْعَةَ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: كَمْ بَقِيَ؟ فَقَالَ: سَهْمٌ وَنِصْفٌ، قَالَ: أَخَذْتُهُ بِخَمْسِينَ وَمِائَةِ أَلْفٍ، قَالَ: وَبَاعَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ نَصِيبَهُ مِنْ مُعَاوِيَةَ بِسِتِّمِائَةِ أَلْفٍ.

فَلَمَّا فَرَغَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ قَضَاءِ دَيْنِهِ، قَالَ بَنُو الزُّبَيْرِ: اقْسِمْ بَيْنَنَا مِيرَاثَنَا، قَالَ: لَا وَاللهِ لَا أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ حَتَّىٰ أُنَادِيَ بِالْمَوْسِمِ- يقصد موسم الحج - أَرْبَعَ سِنِينَ: أَلَا مَنْ كَانَ لَهُ عَلَىٰ الزُّبَيْرِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا فَلْنَقْضِهِ، قَالَ: فَجَعَلَ كُلَّ سَنَةٍ يُنَادِي بِالْمَوْسِمِ، فَلَمَّا مَضَىٰ أَرْبَعُ سِنِينَ قَسَمَ بَيْنَهُمْ.

قَالَ: فَكَانَ لِلزُّبَيْرِ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ، وَرَفَعَ الثُّلُثَ، فَأَصَابَ كُلَّ امْرَأَةٍ أَلْفُ أَلْفٍ وَمِائَتَا أَلْفٍ، فَجَمِيعُ مَالِهِ خَمْسُونَ أَلْفَ أَلْفٍ، وَمِائَتَا أَلْفٍ».

الحكمة والفائدة من هذه القصة الرائعة:

أنه بسبب نية الزبير الصالحة في الحفاظ علىٰ أموال الناس أن يحسب لهم الأمانة كأنها دين عليه، وبسبب يقينه وحسن ظنه في ربه ومولاه (مولىٰ الزبير)؛ بارك الله في أرضَيْه والبيوت التي كان يملكها، فارتفع سعرها عن المعدل الطبيعي وقت تنفيذ الوصية، ورزقه الله مساعدة إخوانه الصحابة في ذلك لما وافقوا عبد الله ابنه في تقويمه لسعر الغابة، مع أن سعر التقويم كان مرتفعًا.

وهذا من فضل الله الكبير.. على عبده الزبير.

وهذه أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا:

كانت تدَّان -أي: تستدين وتقترض- فتكثر، فقال لها أهلها في ذلك، ووجدوا عليها، فقالت: لا أترك وقد سمعت رسول الله ﷺ، يقول: **«مَا مِنْ أَحَدٍ يَدَّانُ دَيْنًا فَعَلِمَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنَّهُ يُرِيدُ قَضَاءَهُ، إلا أَدَّاهُ عَنه فِي الدُّنْيَا»**[1].

وروت أيضًا حديثًا آخرًا فقالت: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **«مَنِ ادَّانَ دَيْنًا يَنْوِي قَضَاءَهُ أَدَّىٰ الله عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[2].

---

(1) «مسند أبي يعلىٰ».

(2) «المعجم الكبير» للطبراني.

وهذه أحاديث تدل على معية الله وإعانته لمن كان صادق النية في سداد الدين:

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: **«من أخذ أموال الناس يريد أداءها أَدَّىٰ الله عنه، ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله»**[1].

- وعن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي ﷺ قال لها: **«يا عائشة إنه ليس أحد يدَّان دينًا يعلم الله منه أنه حريص علىٰ قضاء ذلك الدين إلا لم يزل معه من الله حافظ»**[2].

- وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: **«ما من عبد يعلم منه الحرص علىٰ أداء الأمانة إلا أدىٰ الله تعالىٰ عنه، فإن مات ولم يؤدها وقد علم الله تعالىٰ منه الحرص علىٰ أدائها قيض الله تعالىٰ له من يؤديها عنه بعد موته»**[3].

وهذا خبر عجيب عنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ:

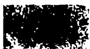
فقد سمع رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: **«إِنَّ اللهُ مَعَ الدَّائِنِ حَتَّىٰ يَقْضِيَ دَيْنَهُ، مَا لَمْ يَكُنْ فِيمَا يَكْرَهُ اللهُ»**.

قَالَ: فَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ يَقُولُ لِخَازِنِهِ: اذْهَبْ فَخُذْ لِي

(1) رواه البخاري.

(2) رواه الديلمي، «كنز العمال» المتقي الهندي.

(3) ابن النجار، «كنز العمال» للمتقي الهندي.



بِـدَيْنٍ، فَـإِنِّي أَكْـرَهُ أَنْ أَبِيـتَ لَيْلَـةً إِلَّا وَاللهُ مَعِـي، بَعْـدَ الَّـذِي سَـمِعْتُ مِـنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ[1].

وهذه قصة لأحدهم مع ديون.. بلغت أكثر من 2 مليون جنيه:

يقول صاحب القصة: في فترة من الفترات حصل لي انهيار سريع في عملي الخاص.. ونظرا لأن العمل كان كبيرا ومتشعبا ومتوسع نسبيا؛ خسرت في خمس سنوات خسائر مهولة.!.

وفي النهاية خسرت كل شيء تقريبًا.. (وأصبح عليًّا ديون بلغت 2 مليون، وزيادة).

فضلًا عن بيع السيارة، والسكن في شقة إيجار، وتحويل الأولاد من مدارس خاصة لمدارس حكومية..

كل شئ كان ينهار بسرعة الصاروخ.!.

كانت مشكلتي الوحيدة التي كادت أن تذهب بي لمستشفىٰ الأمراض العقلية، أو تقتلني بالذبحة، هي.. الديون.!.

لم يؤثر فيَّ ثانية واحدة تغير الظروف المعيشية، ولا مشقة المواصلات والتنقل بعد السيارات الفاخرة، ولا المدارس الحكومية للأولاد، ولا نظرات الشفقة من المحيطين، ولا نظرات الأسىٰ من زوجتي.!..

---

(1) رواه ابن ماجه، وحسنه الأرنؤوط.

شيء واحد فقط حوَّل حياتي جحيمًا قاتلًا: (الديون).

استخدمت كل قدراتي ومهاراتي وعلاقاتي وخبرتي في العودة من جديد، والخروج من النفق المظلم، لكن للأسف دون جدوىٰ..

لم يكن لي في الحياة إلا حلم واحد.. أن أصل لحالة الصفر.. لا لي ولا علي..

كان تصفير الديون هو الحلم الأوحد والوحيد ..

كانت كل الاحتمالات مفتوحة: كالفضيحة، والسجن، والمطاردة.. وكانت أيام لا يمكن وصفها..

لم يعد هناك إلا طريقة واحدة ووحيدة... الدعــاء..

ظللت أدعو في كل سجدة لمدة خمس سنوات متتالية:

دعاء لا ينقطع..

دعاء متواصل..

دعاء كالمجنون الممسوس..

دعاء بلا كلل ولا ملل ولا يأس..

دعاء بلا انتظار لنتائج..

دعاء مضطر مكروب..

يااااه.. أيام لا تنسىٰ.!.

وفي النهاية بدأت سنين الحصاد..

في (خلال عام) أسقط أصحاب الديون حوالي (2 مليون جنيه).. والباقي في طريقه لذلك أيضًا بإذن الله.. ولم يعد يشكل خطرًا كبيرًا..

العجيب أن منهم أشخاصًا لم يُتوقع قط أحد أنهم يمكن أن يسقطوا هذه المبالغ، لكن مقلب القلوب قلَّبَ قلوبهم..

سبحان الله العظيم وبحمده.. (2 مليون جنيه) سقطوا بالدعاء؟!

والله إلىٰ الآن عاجز عن استيعاب أنني نجوت بفضل الله..

خمس سنوات من الاستماتة.!.

لم يكن هناك باب سواه.. ولا أمل إلا فيه.. ولا ثقة إلا به..

يعتقد كثير من الناس أن عصر المعجزات انتهىٰ..

يرىٰ كثير من الناس ويعيشون آيات من الآيات الربانية المذهلة.. لكنهم لا ينتبهون إليها، لأنها تحصل لهم بالتدرج وعلىٰ مراحل.. وذلك ليظل الإيمان بالغيب واليقين وحسن الظن بالله في قلوب الناس

يمل كثير من الناس من الدعاء ويستطيلوا مدة البلاء، ويسيئوا الظن بالله تعالىٰ، مع أنه والله ثم والله.. الدعاء باب من لا باب له.

فأبشروا وتفاءلوا وعظموا رجاءكم وأحسنوا الظن بربكم..



7- العصاة والمذنبون

موسى يقتل نفسًا ويخلف عهدًا مع الله... ومع ذلك يحسن الظن بالله..

قال تعالىٰ: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾[القصص: 15].

كانت هذه القصة قبل نبوة موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولكنه مع ذلك بسبب تربية أمه الصالحة له كان مؤمنًا بالله تعالىٰ، فلما رأىٰ ظلم الفرعوني علىٰ الإسرائيلي، واستنجد به الإسرائيلي الذي هو من شيعته وعلىٰ دينه، أراد أن يدفع الظلم عنه وينصره، فوكز الفرعوني في صدره، ففوجئ بأنه مات، ولم يقصد موسىٰ قتله، ولم تكن هذه الوكزة لتقتل إنسانًا، فندم وطلب المغفرة من الله، وعاهد ربه أنه لن يستخدم قوته بعد هذه الحادثة في إعانة المجرمين، ولن يجعلها إلا في الحق فقط، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾[القصص: 16- 17].

فظل خائفًا يومه من أن ينتشر الخبر في المدينة فيأخذه قوم فرعون ويعاقبونه، فلما مر اليوم بسلام ولم يعرف أحد بهذه الواقعة اطمأن قلبه، فلما كان اليوم التالي ابتلاه الله باختبار ليتبين صدقه في قرار التوبة، والوعد الذي قطعه على نفسه ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (١٨)﴾[القصص: 18] فتأكد لموسىٰ أن هذا الإسرائيلي الذي من شيعته كثير المشاكل وصاحب غواية فغضب، ومع ذلك همّ أن يبطش بالفرعوني - فما أسرع نسيان موسىٰ- ولكن الإسرائيلي لما رأىٰ غضب موسىٰ ظن أنه سيبطش به هو، فقال: ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (١٩)﴾[القصص: 19] فلما سمعها الفرعوني هرب وأبلغ فرعون بالواقعة، فأمر فرعون بإحضار موسىٰ لتتم معاقبته، فسمع أحد الصالحين بذلك، فأتىٰ موسىٰ ليحذره: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠)﴾[القصص: 20] فخرج موسىٰ وهو يدعو مولاه، راجيًا النجاة: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١)﴾[القصص: 21].

تأمل معي هذه الوقفات في هذه القصة العجيبة:

- قتل موسىٰ نفسًا (ولو كان بغير قصد)، فلم يُطْلِعِ الله أحدًا علىٰ هذه الحادثة، وأمَّن موسىٰ من الخوف.

- أراد موسىٰ أن يبطش بالقبطي الثاني (فحال الله بينه وبين ذلك، ولم يمكنه مما أراد، حماية له من الذنب)

- أرسل الله تعالىٰ إليه رجلًا يحذره من قوم فرعون، فهرب قبل أن يأخذوه ويعاقبوه.

فعلم موسىٰ أن الله يحوطه بعنايته ولطفه، خرج خائفًا.. نعم، لكنه كما قال ابن عباس: خرج موسىٰ ولم يكن معه إلا حسن الظن بالله.

فلما دعا ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢١﴾، استجاب الله دعاءه، فلما وصل مدين، قال له شعيب: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥﴾ [القصص: 25].

هذه هي المقومات التي وعاها موسىٰ، وملأت قلبه بحسن الظن في ربه رغم كل الصعاب والشدائد التي كانت تحيط به.

فكذلك ينبغي لكل مؤمن أن يملأ قلبه بحسن الظن بربه سبحانه، مهما كان كربه، ومهما بلغت مصيبته، ومهما عظم بلاؤه، وإن كان عاصيًا، وإن أخلف وعدًا، طالما أنك تقر بخطئك، وتندم علىٰ ذنبك، وتتوب إلىٰ ربك، فإن المخلوق له قدره، وإن الخالق له قدره، ولا يكون الخالق إلا كريمًا رحيمًا ودودًا.

قال سفيان الثوري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من أذنب ذنبًا، فعلم أن الله تعالىٰ قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله عَزَّوَجَلَّ له ذنبه.

قال: لأن الله تعالىٰ عيّر قومًا فقال سبحانه: ﴿وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ﴾[فُصِّلَت: 23]، وقد قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في مثله: ﴿وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا ١٢﴾[الفتح: 12]، أي: هلكىٰ، ففي دليل خطابه عَزَّوَجَلَّ أنّ من ظنّ حسنًا كان من أهل النجاة.

تاريخ الطاعة هو ما يصنع مصيرك، ولا يخلو وليٌّ من معصية ولو كبرت... فأحسن الظن بربك:

فهذا الفضل بن العباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا الذي كان ينظر للمرأة في الحج ويصرف رسول الله وجهه عنها؛ كان من القلة التي ثبتت يوم حنين، وختم الله له آخر عمره بالشهادة.

وهذه المرأة المخزومية التي سرقت فقطع رسول الله يدها، روىٰ أحمد أنّها قالت للنبي ﷺ: هل لي من توبة يا رسول الله؟ فقال: (أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك).

وروىٰ عبد الله بن أبي بكر أن النبي ﷺ كان بعد ذلك يرحمها ويصلها.

وقالت عائشة: فحسنت توبتها بعد وتزوجت رجلًا من بني سليم... وكانت حسنة التلبس والمخالطة والمعاشرة... وكانت تأتيني فأرفع حاجتها إلىٰ رسول الله ﷺ.

ونصح أحد الصالحين أخاه في الله فقال:

لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله،

وتوقعك في القنوط من رحمته، فإن من عرف ربه وكرمه وجوده، استصغر في جنب كرمه وعفوه ذنبه.

وقد قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزُّمَر: 53].

﴿ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: 164]

أحبابي الكرام... لا تجعلوا عظم الذنوب القائم عليها أصحابها وطول الأمد عليهم وهم منغمسون فيها أن تدعوهم إلىٰ الخير والتوبة والهداية، ذكروهم برحمة ربهم وأحسنوا الظن به سبحانه.

- كان الناس في بداية بعثة النبي ﷺ يقولون: لو أسلم حمار الخطاب لم يسلم عمر، فما الذي حدث؟! أسلم عمر بن الخطاب وأصبح الرجل العظيم الثاني في الإسلام بعد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا.

- خالد بن الوليد الذي كان أبوه من أشد أعداء الإسلام، ولم يكتف بعدم قبول الإسلام؛ بل كان يحاربه بأقوىٰ ما لديه، وكذلك عمرو بن العاص الذي ما ترك حيلة ولا مكيدة إلا صد بها عن الإسلام وآذىٰ بها المسلمين، فما الذي حدث؟! أسلم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص في يوم واحد، وهاجرا إلىٰ رسول الله ﷺ سويًا.

- وهذا عكرمة بن أبي جهل، الذي كان أبوه فرعون هذه الأمة، والذي لم يترك حربًا ضد المسلمين إلا شارك فيها بقوة وشراسة،

فما الذي حدث بعد ذلك؟! أسلم وبايع النبي ﷺ على الجهاد ونصرة الإسلام.

قد سبق كل هذا رجاء كبير وحسن ظن عظيم من النبي ﷺ، فلم ييأس النبي ﷺ قط منهم، بل كان يدعو لهم ويرجوا هدايتهم، لمَ لا؟! وقد قال لملَك الجبال حين عرض عليه إهلاك قريش جميعًا: عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له.

- وهذا الذي قتل مائة نفس، والقتل كما تعلمون أكبر الكبائر بعد الشرك، وهو من أكبر الورطات في الدنيا والآخرة، وقد توعد الله عَزَّوَجَلَّ القاتل بأشد وعيد في القرآن فقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾[النساء: 93]، فما الذي حدث؟! شرح الله صدر القاتل للتوبة، فتاب الله عليه، وغيَّر بعض معالم الأرض كي تأخذه ملائكة الرحمة حين موته، فسبحان من وسعت رحمته كل شيء.

- وقد حكى الله تعالى في القرآن الكريم عن أصحاب السبت وكيف خالفوا أمر ربهم، واجتمعوا وخططوا لجريمتهم، واستعانوا بالشيطان للتحايل على أمر الرحمن، ومع ذلك ذكرهم إخوانهم بالله ورغبوهم ورهبوهم، حتى قال قوم كانوا في يأسٍ من هدايتهم ورجوعهم عن مرادهم: ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ [الأعراف: 164]، فردوا عليهم ردًا موفقًا خلَّده الله في القرآن الكريم، ليظل حاضرًا في

أذهاننا وقلوبنا حين ندعو العصاة والظالمين والغافلين والشاردين إلىٰ الله، فقالوا لهم: ﴿قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأعراف: 164].

معذرة إلىٰ ربكم: قد أدينا ما علينا وبذلنا ما في وسعنا؛ فاعذرنا ربنا.

ولعلهم يتقون: نحسن الظن في الله تعالىٰ أنه سيهديهم ويأخذ بقلوبهم ونواصيهم إلىٰ الحق.

- فإلىٰ كل أم أو أب أرهقهم ولدهم طغيانًا وعقوقًا
- وإلىٰ كل زوجة أرهقها زوجها بعدًا وجفاءً
- وإلىٰ كل زوج أرهقته زوجته عصيانًا وعنادًا
- وإلىٰ كل بنت آلمها وقوع صديقاتها في وحل المعاصي
- وإلىٰ كل ولد أتعبه فشله في إنقاذ صديقه من حيل الشيطان
- وإلىٰ كل محب أحزنه انتكاسة حبيبه عن طاعة الرحمن
- وإلىٰ كل داعية أضجره رد الناس لوعظه و رفضهم لتذكيره

اصبروا على ما أنتم عليه ولا تتركوا أحبابكم وادعوهم وذكروهم وأحسنوا الظن ولا تيأسوا، وتذكروا قول أرحم الراحمين: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.



8- الدعـــاء

الدُّعاءُ هُوَ حَقِيقَةُ الْعِبَادَةِ:

قـال تعـالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[لقمان: 30].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ [لقمان: 32].

وقال سبحانه: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة: 16].

وقـال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[غافر: 60].

وقال تبارك شأنه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: 186].

ترك الدعاء سبب لغضب الرب:

قال رسول الله ﷺ: «**من لم يسأل الله؛ يغضب عليه**»(1).

---

(1) رواه الترمذي.

الدُّعـاءُ تـوبـةٌ:

قال تعالىٰ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23]. وهو دعاء كما لا يخفىٰ.

معاملة خاصة من الله تعالى للداعين:

قـال رسـول الله ﷺ: «**إن ربـك تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حيٌّ كـريم، يستحي مـن عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرًا**»[1].

الدُّعاءُ أكرمُ شيءٍ على اللهِ تعالى:

قال ﷺ: «**لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مِنَ الدُّعَاءِ**»[2].

وقال ﷺ: «**إِنَّ رَبَّكُـمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حَيِـيٌّ كَـرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِـنْ عَبْـدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ**»[3].

من أعظم وسائل دفع الضر:

قال رسول الله ﷺ: «**الدعاء ينفع مما نزل ومما لـم ينـزل، فعليكم عباد الله بالدعاء**»[4].

الدعاء تفضل من الله على عباده:

قال تعالىٰ: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ...﴾ [النساء: 32].

---

(1) رواه أبو داود.

(2) رواه الترمذي.

(3) رواه أبو داود.

(4) رواه أحمد.

قال سفيان بن عيينة: لم يأمر بالسؤال إلا ليعطي.

وكما أن للدعاء فضائل؛ فإن له كذلك موانع، فمن هذه الموانع:

الأول: أكل الحرام وشربه ولبسه:

كما ورد في الحديث: «**الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلىٰ السماء يا رب! ومطعمه حرامٌ، ومشربه حرامٌ وغُذي بالحرام فأني يستجاب لذلك**»(1).

الثاني: الاستعجال وترك الدعاء:

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، فيقول قد دعوت فلم يستجب لي**»(2).

الثالث: ارتكاب المعاصي والمحرمات:

قال الشاعر:

نحن ندعو الإله في كل كرب ... ثم ننساه عند كشف الكروب

كيف نرجو إجابة لدعاء ... قد سددنا طريقها بالذنوب

الرابع: ترك الواجبات التي أمر الله بها وأوجبها:

فعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لتأمرون**

---

(1) رواه مسلم.

(2) رواه البخاري، ومسلم.

بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أني يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»[1].

الخامس: الدعاء بإثم أو قطيعة رحم:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم..**»[2].

ذكر جملة من آداب الدعاء التي تفتح للعبد بابًا إلىٰ حسن الظن بالله تعالىٰ:

1- أن يبدأ بحمد الله، ويصلي على النبي ﷺ، ويختم بذلك:

رأىٰ رسول الله ﷺ رجلًا يصلي فمجَّد الله وحمده، وصلىٰ علىٰ النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**أيها المصلي أدع تجب وسل تعط**»[3].

وقال أبو سليمانَ الدَّارانِيُّ: من أراد أن يسأل الله حاجة؛ فليبدأ بالصلاة علىٰ النبيِّ ﷺ، ثم يسأل الله حاجته، ثم يختم بالصلاة علىٰ النبيِّ ﷺ، فإن الله تعالىٰ يقبل الصلاتين، وهو أكرم من أن يَرُدَّ ما بينهما.

2- الدعاء في الرخاء والشدة:

قال رسول الله ﷺ: «**من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد**

---

(1) رواه الترمذي.
(2) رواه البخاري.
(3) رواه النسائي.

والكرب، فليكثر الدعاء في الرخاء»[1].

3- يخفض صوته بالدعاء بين المخافتة والجهر:

قال تعالىٰ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: 55].

4- أن يتضرع إلى الله في دعائه:

قال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 43].

5- أن يُلح على ربه في الدعاء:

قال رسول الله ﷺ: **«ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام»**[2].

وقال أبو عمرو الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أفضل الدعاء، الإلحاح علىٰ الله.

6- يتوسل إلى ربه تعالى بأنواع الوسائل المشروعة:

قال تعالىٰ: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: 35].

ومعنىٰ ابتغاء الوسيلة: أي تقربوا إليه بطاعته، والعمل بما يرضيه[3].

7- الاعتراف بالذنب والنعمة جميعا حال الدعاء:

كما في الحديث عن شداد بن أوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال سيد

---

(1) رواه الترمذي

(2) رواه الترمذي.

(3) «تفسير ابن كثير».

الاستغفار أن تقول: «**اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني، وأنا عبدك، وأنا علىٰ عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**».

قال: «**ومن قالها من النهار موقنًا بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة**».

[illegible] السجع في الدعاء:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «... فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه، فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك - يعني لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب»[1].

[illegible]

وقد قال ﷺ: «**اللهم عليك بقريش**» ثلاث مرات[2].

[illegible] ـلة:

فعن عبد الله بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: خرج النبي ﷺ إلىٰ هذا المصلىٰ يستسقي، فدعا واستسقىٰ، ثم استقبل القبلة فقلب رداءه[3].

رواه البخاري.
رواه البخاري، ومسلم.
رواه البخاري.

11- رفع اليدين بالدعاء:

عن سلمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن ربكم تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ حي كريم يستحي من عبده! إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرًا**»(1).

12- الوضوء قبل الدعاء إن تيسر:

عن أبي موسىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن عبيد بن عامر سأل رسول الله ﷺ أن يدعو له، فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ منه، ثم رفع يديه، فقال: «**اللهم اغفر لعبيد بن عامر**»(2).

13- إظهار الافتقار إلى الله والشكوى إليه.

كما ذكر الله تعالىٰ افتقار وشكوىٰ عبده ونبيه زكريا عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾ [مريم: 4].

14- أن يبدأ الداعي بنفسه إذا دعا لغيره:

وثبت أن النبي ﷺ إذا دعا، لم يبدأ بنفسه.

15- أن لا يتعدى في الدعاء:

عن أبي أمامة أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها، فقال: أي بني،

---

(1) رواه أبو داود.

(2) رواه البخاري، ومسلم.

سل الله الجنة، وتعوذ بالله من النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء**».

16- التوبة ورد المظالم.

قال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف: 23].

17- يدعو لوالديه وللمؤمنين مع نفسه:

قال تعالىٰ عن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾[نوح: 28].

18- لا يسأل إلا الله وحده:

كما في الحديث عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال ﷺ: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»[1].

19- حضور القلب:

قال ﷺ: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاه**»[2].

والحد الأدنىٰ من ذلك ما ذكره البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن يعيَ القلب ما يقول اللسان.

---

(1) رواه الترمذي.

(2) رواه الترمذي.

وكان (سهل بن عبد الله) رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: من سأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شيئًا، فنظر إلىٰ شيء وإلىٰ أعماله؛ لا يرىٰ الإجابة حتىٰ يكون ناظرًا إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وحده وإلىٰ لطفه وكرمه، ويكون موقنًا بالإجابة.

وهذا (الحسن البصري) يحدث بفضل الله تعالىٰ عليه في دعائه فيقول: والله إني لأدعو الله عَزَّوَجَلَّ وأرىٰ يد الله تكتب لي الإجابة.

فقد كان عنده يقين بإجابة ربه له، وفي الحديث: «**ادع الله وأنت موقن بالإجابة**» ولا يحقرن الإنسان نفسه فإن رحمة الله عظيمة، وخيره عميم.

20- استحباب الإتيان بجوامع الدعاء! مما ورد في الكتاب، أو السنة:

كقوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: 201].

21- أن يكثر من الطلبات والأمنيات ويعظم الرجاء:

قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا سَأَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيُكْثِرْ، فَإِنَّهُ يَسْأَلُ رَبَّهُ**»(1).

وقال ﷺ: «**إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ**»(2).

---

(1) رواه الطبراني.

(2) رواه مسلم.

22- ختم الدعاء بما يناسب طلب الداعي:

وذلك أبلغ في الدعاء وأجمع له؛ لقوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾[آل عمران: 8].

والداعي يستحب له أن يختم دعاءه بما يناسب طلبه، فإذا سأل الولد فيختم الدعاء مثلًا بأن الله هو الوهاب الرزاق.

ومن أقوى الأمثلة على قوة وعظم حسن الظن في قلب العبد حين يدعو، هذه القصة العجيبة:

عَنْ أَنَسِ بْنِ النَّضْرِ: أَنَّ الرُّبَيِّعَ - وَهِيَ ابْنَةُ النَّضْرِ - كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ جَارِيَةٍ، فَطَلَبُوا الأَرْشَ وَطَلَبُوا العَفْوَ فَأَبَوْا، فَأَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَأَمَرَهُمْ بِالقِصَاصِ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ: أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ يَا رَسُوْلَ اللهِ؟! لَا وَالَّذِيْ بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَا تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا. فَقَالَ: «**يَا أَنَسُ؛ كِتَابُ اللهِ القِصَاصُ**»، فَرَضِيَ القَوْمُ وَعَفَوْا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لَأَبَرَّهُ**»[1].

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي كِتَابِهِ «فَتْحُ البَارِي»[2]:

وَقَوْلُهُ: (**لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لَأَبَرَّهُ**) أَيْ: لَوْ حَلَفَ يَمِينًا عَلَىٰ شَيْءٍ أَنْ يَقَعَ -طَمَعًا فِي كَرَمِ اللهِ بِإِبْرَارِهِ- لَأَبَرَّهُ وَأَوْقَعَهُ لِأَجْلِهِ.

---

(1) **الأَرْشُ**: هُوَ دِيَّةُ الجِرَاحَة.

(2) (11 /543).

وَالحَدِيْثُ يَدُلُّ عَلَىٰ قُوَّةِ رَجَاءِ المُقْسِمِ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَعَلَىٰ حُسْنِ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ؛ أَنَّهُ تَعَالَىٰ سَيُنْجِزُ لَهُ مَا طَلَبَهُ مِنْهُ.

وهذا يطلب من الله أن يحج كل عام:

يروىٰ أن سفيان بن عيينة كان يقول في كل موقف: اللهم لا تجعله آخر العهد منك، فلما كان العام الذي مات فيه لم يقل شيئًا وقال: استحيت من الله تعالىٰ.

والمقصود أن سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ يدعو الله تعالىٰ في كل موقف فيستجيب له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفي ذلك الموقف في عرفة لم يدع رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا الدعاء.

وهذا دعاء مستجاب في رمضان:

حكىٰ شيعث بن محرز: أن امرأة كانت عمياء فصحت عينها ليلة أربع وعشرين من شهر رمضان، قال: فأتيتها عند دار موسىٰ المحتسب بالبصرة، فقالت: اجلس حتىٰ أخرج إليك فخرجت، فقلت لها: يا أمة الله بأي شيء دعوت ربك؟

قالت: صليت أول الليل في مسجد الحي، حتىٰ إذا كان في السحر قمت في مسجد بيتي فدعوت ربي، فقلت:

يا كاشف ضُرَّ أيوب، يا مَنْ رحِمَ شَيْبَة يعقوب، يا منْ ردَّ يوسف علىٰ يعقوب، رد علي بصري قالت: فكأنما إنسان جرد عيني فأبصرت، والحمد لله.

وما أدراك ما دعوة الأم:

قال سهل بن بشر: حدثنا سليم (ابن أيوب الشافعي) أنه كان في صغره بالري، وله نحو من عشر سنين فحضر بعض الشيوخ، وهو يلقن قال: فقال لي: تقدم فاقرأ، فجهدت أن أقرأ الفاتحة، فلم أقدر علىٰ ذلك لانفلات لساني، فقال: لك والدة؟ قلت: نعم، قال: قل لها تدعو لك أن يرزقك الله قراءة القرآن والعلم، قلت نعم، فرجعت فسألتها الدعاء فدعت لي.

ثم إني كبرت ودخلت بغداد، وقرأت بها العربية والفقه، ثم عدت إلىٰ الري فبينما أنا في الجامع أقابل (مختصر) المزني، وإذا الشيخ قد حضر، وسلم علينا وهو لا يعرفني، فسمع مقابلتنا وهو لا يعلم ماذا نقول، ثم قال: متىٰ يتعلم مثل هذا؟ فأردت أن أقول: إذا كانت لك والدة فقل لها تدعو لك، فاستحيت.

وهذا خبر عجيب من نور الدين محمود زنكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حاصر الفرنج دمياط -بلدة بمصر- وضايقوها، وتابع صلاح الدين رسله إلىٰ الملك العادل نور الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ يشكو إليه ما هو فيه من المخاوف، وأنه إن تخلف عن دمياط ملكها الفرنج، وإن سار إليها؛ خرج الناس عن طاعته، وصار الفرنج أمامه والعصاة خلفه، فجهز إليه نور الدين العساكر أرسالًا، كلما تجهزت طائفة أرسلها، فسارت إليه يتلو بعضها بعضًا.



ثم سار نور الدين فيمن عنده من العساكر ودخل بلاد الفرنج، فأغار عليها لتتحرك الفرنج إلىٰ حفظ بلادهم ويشتغلوا عن دمياط؛ وذُكِر أنه بلغ من اهتمام نور الدين بأمر المسلمين حين نزل الفرنج علىٰ دمياط أنه قُرئ بين يديه جزء من حديث كان له به رواية، فجاءه في جملة تلك الأحاديث حديث مسلسل بالتبسم، فطلب منه بعض طلبة الحديث أن يتبسم ليتم السلسلة علىٰ ما عُرف من عادة أهل الحديث، فغضب من ذلك، وقال: إني لاستحي من الله تعالىٰ أن يراني مبتسمًا والمسلمون محاصرون بالفرنج.

ورأىٰ أحد الأئمة الصالحين ليلة رحيل الفرنج عن دمياط في منامه النبي ﷺ وقال له: (أَعْلِم نور الدين أن الفرنج رحلوا عن دمياط في هذه الليلة)، قال: فقلت: يا رسول الله لا يصدقني، فاذكر لي علامة يعرفها، قال: فقل له: (بعلامة ما سجدت علىٰ تل حارم، وقلت: يا رب انصر دينك، ولا تنصر محمودًا؛ من محمود الكلب حتىٰ يُنصر؟!)، قال: فانتبهت، ونزلت إلىٰ المسجد، وكان من عادة نور الدين أن ينزل إليه بغلس، ولا يزال يركع فيه حتىٰ يصلىٰ الصبح، قال: فتعرضت له، فسألني عن أمري، فأخبرته بالمنام، وذكرت له العلامة كلها، إلا أنني لم أذكر لفظ الكلب؛ فقال نور الدين: اذكر العلامة كلها، وألحّ عليّ[3]، فقلتُها، فبكىٰ، وصدّق الرؤيا.

وأُرِّخَت تلك الليلة، فجاء الخبر برحيل الفرنج بعد ذلك في تلك الليلة.

فهذا عبد صالح، يحب الله، ويحب دين الله، وينصر دين الله، وقد بذل وسعه، وتكالب عليه الأعداء، وضاقت عليه الأرض، فلجأ إلىٰ الله، فلم يخيب الله رجاءه، وفتح له أبواب السماء.

وهكذا ينبغي لكل داع أن يحسن الظن بربه وهو أكرم الأكرمين.

وهذه مناجاة رقيقة من أحد الصالحين:

إلهي.. أغلقت الملوك أبوابها وبابك مفتوحٌ للسائلين.

إلهي.. غارت النجوم ونامت العيون، وأنت الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم.

إلهي.. فُرشت الفُرش، وخلا كلُ حبيبٍ بحبيبه، وأنت حبيب المجتهدين، وأنيس المُستوحشين. إلهي.. إن طردتني عن بابك، إلىٰ أي بابٌ ألتجي؟ وإن عذبتي فإني مستحق للعذاب والنقم. إلهي.. وإن عفوت عني فأنت أهلٌ للجود والكرم.

يا سيدي.. لك أخلص العارفون، وبفضلك نجا الصالحون، وبرحمتك أناب المقصرون.

يا جميل العفو.. أذقني برد عفوك، وحلاوة مغفرتك، وإن لم أكن ذالك، فأنت أهل التقوىٰ وأهل المغفرة.

وهذا دعاء جميل مؤثر لفخر الدين الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«اللَّهمّ يا سامِعَ الأصوات، ويا مُجيب الدَّعَوات، ويا مُقِيلَ العَثَرات، أَنَا كنتُ حَسَنَ الظَّنِّ بك، عظيمَ الرجاء في رحمتك، وأنتَ قلتَ: «**أَنَا عند ظنّ عبدي بي**»، وأنت قَلتَ: أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ، فهَبْ أنّي ما جئتُ بشيءٍ، فأنت الغنيّ الكريم، وأنا المحتاج اللّئيم، فلا تخيّب رجائي، ولا تَرُد دعائي، واجعلني آمنا من عذابك قبلَ الموت، وبعدَ الموت، وعندَ الموت، وسَهِّلْ عليَّ سكراتِ الموت فإنّك أرحمُ الراحمين».

يقول ابن القيم: «وحسن الظن بالله لقاح الافتقار والاضطرار إليه؛ فإذا اجتمعا أثمرا إجابة الدعاء».



كيف يقوي العبد حسن الظن في قلبه حين يدعو؟

تأمل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾[مريم: 4].

فيه قياس الباقي علىٰ الماضي، فالذي أحسن في الماضي يحسن في الباقي، فهذا أحد الأسباب في تقوية حسن الظن بالله وأعظم منه من حسَّن الظن بالله لما هو متصف به تعالىٰ من كمال القدرة والكرم، والجود والرأفة والرحمة، فإن الأول ملاحِظ للتجربة، والثاني ناظِر لعين المِنَّة.

وقال بعض العلماء:

إن الدعاء ليس عبادة فحسب ولكنه تربية؛ فالإنسان حين يدعو ويردد هذه الألفاظ يتربىٰ علىٰ معانيها، يتربىٰ علىٰ أن هذا الدعاء يستخرج طاقاته الكامنة وإمكاناته المذخورة وقدراته المدفونة، ويحرك فيه الإحساس بالمسئولية.

الدعاء ليس تواكلًا ولا تخلصًا من التبعة وإلقاءً بها، وإنما هو تحمل للمسئولية ومشاركة فيها بكل الوسائل، وبهذا يحقق العبد مراد

الله تعالىٰ منه في هذه العبادة الجليلة، فيرزقه الله قوة الرجاء والتفاؤل والأمل وحسن الظن فيه سبحانه، ويجيب له دعاءه.

وتأمل هذا القول البديع لشيخ الإسلام عن حكمة الله ورحمته من خلال الدعاء:

لكنَّ العبدَ قد تَنزلُ به النّازِلة فيكونُ مقصودُه طَلَبُ حاجَتِه وتفريجِ كُرُبَاتِه، فيسعىٰ في ذلك بالسّؤالِ والتّضَرّع، وإن كان ذلك من العبادة والطاعة، ثم يكون في أول الأمرِ قَصدُهُ حُصُولُ ذلكَ المَطلُوبِ مِنَ الرّزقِ والنّصرِ والعَافِية مطلقًا، ثم الدعاء والتضرع يفتح له من أبواب الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ ومعرفته ومحبته، والتنعم بذكره ودعائه، ما يكون هو أحب إليه وأعظم قدرًا عنده من تلك الحاجة التي هَمّته.

وهذا من رحمة الله بعباده، يسوقهم بالحاجات الدنيوية إلىٰ المقاصد العلية الدينية[1].

وقال بعضهم:

همومٌ ساقتك إلىٰ المِحرَاب فدعوت وصلَّيت، خيرٌ من سرُورٍ قادك إلىٰ الغفلَة فتماديت.

همسة في أذن كل واحد منا:

ماذا لو كلُّ شيء يحدث لنا، هو إعداد لما كنا تطلبه ؟!

---

(1) «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم».

وجه الشبه بين حسن الظن وبين الدعاء

إن حسن الظن بالله تعالىٰ ودعاء الله سبحانه عبادتان مأمور بهما المسلم علىٰ كل حال، سواء أجاب الله دعاءنا أو لم يُجِب، وسواء وجدنا أثر حسن الظن أو لم نجده، ولكن لا يأمر الله تعالىٰ عباده بالدعاء ثم لا يجيبهم، ولا يأمرهم بحسن الظن ثم لا يجدوا أثر ذلك، وحل هذا الإشكال في حديث النبي ﷺ حين قال: «**ما من مسلم يدعو الله بدعوةٍ ليس فيها إثمٌ، ولا قطيعةُ رحم، إلا أعطاه الله بها إحدىٰ ثلاث: إما أن تعجّل له دعوته، وإما أن يدّخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**».

إذن فهناك ثلاث حالات للإجابة وليست حالة واحدة:

تعجل له دعوته: يعني في الدنيا عاجلًا أو آجلًا، سواء رأىٰ إجابة دعوته في القريب العاجل أو تأخرت مدة معينة، المهم أنها تستجاب له في الدنيا.

يصرف عنه من السوء مثلها: يعني بحسب إقبال العبد علىٰ الله حين الدعاء وبحسب افتقاره وخشوعه وتضرعه يصرف الله عنه فقرًا أو مرضًا أو حادثة أو تسلط ظالم، يعني العافية مقابل الدعاء.

يدخرها له في الآخرة: يعني يدخر الله تعالىٰ للعبد ثوابًا كبيرًا يوم القيامة مقابل دعائه، ومن منا لا يحتاج لحسنة واحدة بل ربع حسنة لينجو بها يوم القيامة من النار.

كذلك حسن الظن في الله تعالىٰ إذا تقبله الله من العبد فله نفس هذه الحالات الثلاث:

إما يرىٰ العبد أثر حسن ظنه في الله في الدنيا..

وإما يرزق العبد العافية مقابل حسن ظنه في ربه..

وإما يدخر له من الثواب ما ينفعه يوم القيامة..

تنبيه هام:

في حالة (يصرف عنه من السوء) لا تتعلق مباشرة بما دعا به العبد ربه، ولا بما أحسن الظن فيه، بل قد يحسن العبد الظن بربه في طلب رزق مثلًا، فلا يرىٰ أثر حسن الظن في الرزق وإنما يصرف الله عنه حادث سيارة أو تسلط ظالم.

قد يبتلي الله العبد في الدنيا فيحسن الظن بربه أنه سينجيه، فيؤخر الله إنجاءه ليدفع عنه بلاء أكبر مما هو فيه، مثل رجل دفع رجلًا بشدة وقسوة عن الطريق ليحميه من سيارة طائشة كانت ستصيبه، فالشدة والقسوة بلاء لكنه أقل وأخف من حادثة قد تسبب موتًا أو عظامًا مكسورة.

وكرجل أحسن الظن بالله في حاجة له وقد دعا كثيرًا وأخذ

بالأسباب وبذل وسعه، ومع ذلك لم يجد أثر حسن الظن في هذه الحاجة، ولكن الله تعالىٰ بعلمه وقدرته ولطفه قد صرف عنه أمرًا عظيمًا كان سيصيبه لا محالة ولولا أن للعبد رصيد عند ربه من حسن الظن لوقع هذا البلاء به ولأصابه ضرٌ وكربٌ شديد.

فتظن أنك حُرِمتَ، وأنت في الحقيقة رُحِمت...

فلنحسن الظن دومًا بالله تعالىٰ، فليس أرحم بنا من أمهاتنا إلا هو، ولا أكرم وأوسع منه فضلًا، سبحانه وبحمده.

وقصص إجابة الدعاء كثيرة جدًّا، سواء للصالحين أو غير الصالحين، وقد ذكرنا لها أمثلة متوافرة في كتابنا (**أول مرة أتلذذ بالدعاء**) فتأملوها هناك.

وما أجمل ما قاله الإمام السهيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يا مَنْ يرى ما في الضمير ويسمعُ ... أنتَ المُعَدُّ لكل ما يُتوقّعُ
يا مَنْ يُرجَّى للشدائد كلّها ... يا مَنْ إليه المشتكى والمَفزَعُ
يا مَنْ خزائنُ مُلْكِه في قول: كُنْ ... امْنُنْ فإنّ الخيرعندك أجمعُ
مالي سوى فقرى إليك وسيلةٌ ... فبالافتقار إليك فقرى أدفعُ
مالي سوى قرعي لبابك حيلةٌ ... فَلَئنْ رُدِدتُ، فأي بابٍ أَقْرعُ؟!
ومَنِ الذي أدعو، وأهتفُ بِاسْمِه ... إنْ كان فضلُك عنْ فقيرِك يُمنْعُ؟!
حاشا لمَجْدِك أنْ تُقَنِّط عاصيًا ... والفضلُ أجْزلُ والمواهبُ أوسعُ

9- المتصدقون

قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة: 195]، قال سفيان الثوري: أي أحسنوا بالله تعالى الظنّ.

وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة: 261].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾ [سبأ: 39].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ١٨﴾ [الحديد: 18].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ٧﴾ [الليل: 5- 7].

وقال النبي ﷺ قال: «**ما من يوم يُصبح العباد فيه إلا ملكان ينْزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعطِ مُنفقًا خلَفًا، ويقول الآخر: اللهم أعطِ مُمسكًا تلفًا**».

وقال النبي ﷺ: «**ما نقصت صدقةٌ مِنْ مال...**».

وقال النبي ﷺ: **«إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله، إلا من ثلاثةٍ: إلا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له»**.

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ: **«أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلَا تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ، قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان»**[1].

وكان الإمام البيهقي يقول: استنزلوا الرزق بالصدقة.

وقصص الصدقة وعجائب الصدقة وخَلَف الله تعالى لعباده المتصدقين كثيرة جدًّا ومشهورة.

تعالوا نتأمل معًا هذا الخبر:

أعلنت إحدى الشركات الكبرى اكتتابًا مغريًا جدًّا على غير العادة وبنسبة ربح كبيرة.. الكل تفاعل مع الاكتتاب.. صغار وكبار.. أغنياء وفقراء..

طبعًا لابد وأن يحدث هذا التفاعل..

فالـ 500 دينار.. ستصبح 2500 دينار.. وقس على ذلك كل زيادة.. وأعلنت الشركة أن نسبة الربح 60٪ أو 70٪.

ومن هؤلاء الناس جاءت واحدة لتسأل عن إمكانية وضع مبلغ

---

(1) رواه البخاري.

3 ملايين، وتم رفض طلبها لأن الحد الأعلىٰ 500000 .

وددتُ لو نصحتُها بالدخول في اكتتاب آخر، في شركة عظيمة، باب الاكتتاب والمساهمة فيها أكبر من هذه الشركة بفارق كبير جدًا ولا أدري لماذا لم يتم الإعلان عنها في الصحف؟! ولم يتم الاهتمام بها؟! رغم أن نسبة الأرباح في هذه الشركة أكثر من 70 في المائة... بمعنىٰ أن الألف ستصبح 7000 ألاف.. لقد وضع هذا الإعلان بالفعل.. نجده كلنا في القرآن الكريم.. في كتاب الله الذي بين أيدينا هذا الاكتتاب سيكون مع الله عَزَّوَجَلَّ.. هل تخيلت الموقف؟؟ ربنا يستقرضنا، فيقول سبحانه: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: 245]. ربكم يستقرضكم مع غناه عنكم.. ويعدكم أن يخلف عليكم في الدنيا، ويضاعف أجوركم أضعافًا كثيرة في الآخرة.

وتعالوا نقرأ هذه القصة القصيرة المعبرة:

في يوم من الأيام تخرج شاب في كلية الاقتصاد والتجارة من أرقي الجامعات بالولايات المتحدة الأمريكية، وبعد أن أنهي الشاب دراسته، عاد إلي والده حتىٰ يساعده في تجارة بيع الأجهزة الكهربائية والمنزلية الخاصة به، وبعد أيام قليلة من العمل لاحظ الشاب أن أباه يتبرع كل شهر بثلاجة أو فرن أو غسالة لشخص محتاج من الفقراء أو التيامىٰ أو الأرامل، فتعجب الشاب من هذا الأمر واعترض عليه بشدة، بحجة أن ذلك خسارة للعمل وللتجارة.

بدأ الشاب يحسب تكلفة هذه التبرعات شهريًا وسنويًا كما حسب المبلغ خلال عشر سنوات، وماذا لو تم استغلال هذه الأموال في زيادة رأس المال، وزيادة الربح والعمل والتجارة؟ وخرج بأرقام عالية وأموال كثيرة لا يستهان بها، وهكذا قرر أن يناقش والده في هذا الأمر وحاول أن يقنعه أن يتوقف عن هذا العمل الذي يضره، فهو يخالف المنطق التجاري وكل ما تعلمه من قوانين الاقتصاد والتجارة في أكبر الجامعات الأمريكية.

ما كان من والده إلا أن ابتسم في هدوء وسأله سؤال بسيط للغاية: هل الأغنام أكثر عددًا أم الكلاب؟ فقال الولد علي الفور: الأغنام بالتأكيد أكثر، فسأله الأب: وكم تلد الكلاب بالسنة وكم تلد الأغنام؟، فقال الولد: الكلاب تلد أكثر من مرة، وفي كل مرة خمسة وستة وربما أكثر، بينما الغنم لا تلد في العام الواحد سوي خروفًا أو اثنين علي الأكثر، فتابع الرجل قائلًا: وهل الناس تأكل لحم الخراف والأغنام أم الكلاب؟ ازداد تعجب الشاب من الأسئلة وهو لا يدري ماذا يريد أن يقول له والده، ولكنه رد علي أية حال قائلًا: بالطبع الناس تأكل الخراف والأغنام، فقال له الأب: طالما الكلاب تلد أضعاف الغنم، وطالما الناس تأكل الخراف والغنم ولا تأكل الكلاب، لماذا إذن عدد الخراف أضعاف أضعاف عدد الكلاب؟! سكت الشاب ولم يستطع أن يجيب عن هذا السؤال.

أكمل الأب حديثه قائلًا: يا بني، هذه الامور لا تدرسونها في أكبر الجامعات في العالم، هذه هي البركة والصدقة وعمل الخير الذي يزيد المال وينميه ولا ينقصه أبدًا، فهي تجارة رابحة مع الله عَزَّوَجَلَّ، قال رسولنا الكريم ﷺ: **«ما نقص مالُ عبدٍ من صدقة»**.

ومن عجائب الصدقات وعظيم البركات هذه القصص الجميلة:

البركة في جيب القميص:

قال الأستاذ خالد أبو شادي: حدثني أحد أخواني بالأمس قائلًا: نفذ راتبي ولم يتبق في جيبي إلا ستة جنيهات، وبينما أنا في الطريق إلىٰ البيت إذ تقدمت إليّ امرأة فقيرة تطلب الصدقة، فأدخلت يدي في جيبي ناويًا أن أعطيها جنيهًا وأدع الخمس جنيهات في جيبي، فخرجت في يدي الخمس جنيهات.

رجعت إلىٰ البيت في أتوبيس بنصف جنيه ولم يتبق إلا نصف جنيه ننفق منه حتىٰ نهاية الشهر، دخلت البيت وكانت امرأتي تغسل ثيابي، فإذا بها تجد ورقة واحدة من فئة مائتي جنيه في جيب أحد قمصاني كنت قد نسيتها منذ فترة ولم أعد أذكرها!! وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[سبأ: 39].

نعم إن الذي ينفق ابتغاء مرضات الله فإن نفقته التي أنفقها، وصدقته التي تصدق بها فإنما تقع أول ما تقع في يد الله قبل أن تقع في يد

الفقير، لذلك فإن من يرد لك ويجزيك علىٰ نفقتك هو الله جل جلاله، ولا تعلم كيف ولا متىٰ ستكون بركة هذه الصدقة.

هذه البصقة لي فماذا لربك؟

إنها القصة التي يرويها الشيخ محمد راتب النابلسي حفظه الله، عن شيخ فاضل سوري، ومن مدينة حلب، وكان يعمل محتسبًا متطوعًا لوجه الله، في مؤسسة خيرية لإغاثة وإعانة العائلات الفقيرة والمحتاجة.

يقول الشيخ النابلسي: شيخ سوري تخرج من مدرسة النبوة، كان يمرّ علىٰ التجار في حلب يحثهم علىٰ الصدقة، فدخل علىٰ تاجر غليظ القلب، قابل دعوته بأن عبس في وجهه ثم بصفق عليه، فما كان من الشيخ إلا أن مسح البصقة بكف، ومدّ كف الأخرىٰ قائلًا وهو يبتسم: هذه البصقة لي فماذا عندك لربك؟

استحىٰ الرجل، بل إنه الذي دمعت عيناه، واعتذر من الشيخ، وطلب أن يسامحه، وتصدق بمال كثير، بل إنه أصبح يخرج صدقاته وزكاة أمواله، ولا يعطيها إلا لهذا الشيخ ينفقها علىٰ العائلات الفقيرة والمستورة .

قد يثقل علىٰ كثيرين منا سماع مثل هذا الكلام، بل يصعب علينا استيعاب قدرة هذا الرجل علىٰ احتمال هذه الإساءة، لكن من تشرّبت نفوسهم الإيمان ومن تلفعوا بعباءة حسن الخلق وإخلاص العمل لله

تعالىٰ، فإنهم يقدرون علىٰ ذلك متمثلين قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فُصِّلَت: 34].

يتصدق بفردة حذائه:

إنها القصة التي يرويها الشيخ الفاضل علّامة الهند أبو الحسن الندوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن أحد فضلاء المسلمين في الهند، وممن كانوا أحد المبادرين لإقامة أول جامعة للمسلمين في الهند، وكان الرجل يتجول علىٰ التجار والأثرياء يحثهم علىٰ الصدقة والعطاء من أجل إقامة وبناء الجامعة.

وكان أن دخل علىٰ أحد التجار الأثرياء ذات يوم، وعرض عليه فكرة بناء الجامعة، إلا أن الرجل قابل الفكرة بالاستهزاء والسخرية قائلًا: لو كان جامعًا لتبرعت، أما الجامعة فما الحاجة وفي البلاد جامعات كثيرة؟ ومع ذلك قال التاجر للرجل الفاضل أعطني عنوانك، وسأرسل إليك عبر البريد ما سأتصدق به.

مرت أيام وإذا بساعي البريد يحمل إلىٰ الرجل طردًا بريديًا، وصل إليه من التاجر الذي وعد بإرسال صدقته، فلما فتح الطرد وإذا بداخله فردة حذاء واحدة، وهي مستعملة وليست جديدة.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: فما كان من الرجل الفاضل إلا

مجاورة كما ذكرت، وسرعان ما بادر بالقول، أنه جاءني في حاجة، وأن ثقته بي جعلته يأتي إليّ وليس لغيري، لأنني سأتفهم حاجته، ولن أكشف سره كما قال، وكان طلبه تفريجه بمبلغ خمسة آلاف، لضرورة قصوىٰ وظرف صعب يمرُّ به.

أما أنا فلم أشك للحظة في صدقه، مع استغرابي للوضع الذي يمر به، ولأنني لم أكن أملك ذلك المبلغ ساعتها فقد طلبت منه أن ينتظرني، وذهبت إلىٰ أحد الأخوة الخيّرين، وآتيته بالمبلغ المطلوب، وانصرف.

لم تمض إلا عتمة الليل، بين غروب الشمس وانبلاج صبح اليوم التالي، وفي صلاة الفجر قدر الله أن تكون قراءتي من سورة الذاريات، وقد مررت بقول الله تعالىٰ فيها يتحدث عن أهل الجنة: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: 17- 19]، وسرعان ما عاد إلىٰ ذهني قصة الرجل في صلاة العشاء قبل ساعات.

انتهت الصلاة، وجلسنا لقراءة أذكار الصباح، وقد خرج أغلب المصلين، وحين هممت بالخروج وإذا بأخ يستوقفني، استغربت من وجوده معنا، وهو من خارج قريتنا، وقد تساءلت ما الذي جاء به لصلاة الفجر عندنا، وهو من نفس مدينة الأخ الذي جاءني في صلاة العشاء.

سلمت عليه ولعلي كنت لم أره لبضع سنوات خَلَتْ، ألححت عليه بالذهاب إلىٰ البيت، لكنه اعتذر لأنه مضطر أن يذهب للعمل مباشرة، وإذا به يخرج من جيبه مظروفًا وهو يقول: لقد عزمت الليلة علىٰ التصدق بمبلغ عشرة آلاف، وعزمت أن أضعها بين يديك أنت تتصرف بها لأصحاب الحاجة في تسعة آلاف منها، والألف المتبقية ضعها في مدرسة المعالي (المدرسة الابتدائية)، حيث كنا نشيّدها في تلك الأيام..

كنت أنا بين الحيرة مما أسمع والتأثر العظيم من أقدار الله تعالىٰ يجريها من حيث لا نعلم، فذاك الأخ جاءني عشاءً يطلب حاجته، وهذا الأخ جاءني فجرًا، لكأن الله أرسله ليسد تلك الحاجة، ويقضيها بإرجاع المبلغ الذي اقترضته من ذلك الأخ لأرده إليه، والعجيب أن كليهما من نفس المدينة، وأنا من بلدة أخرىٰ، ولم يكن أحد منهما يعلم بما يفكر به الآخر، ليكون الملتقىٰ في بيت الله تعالىٰ في بلدة ثانية.

فسبحان من اشترىٰ منا ما يملك، ومدحنا علىٰ إنفاقنا ما وهب، ثم باهىٰ بنا ملائكته، وادّخر لنا أروع المفاجآت في جنته .

اللَّهُمَّ اجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر، وأدم علينا نعمة حسن الظن فلا ننقطع أبدًا عن الصدقة.



قواعد هامة في حسن الظن

1- قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: 82]:

خلق الله الكون وجعله يدور علىٰ السببية، لكنه احتفظ بفاعلية الأسباب لنفسه، فإذا أراد أن تعمل، عملت، و إن أراد ألا تعمل، لم تعمل، فإذا أراد الله شيئًا عطّل له قوانين الكون وأمر الأسباب بما أراد، فيكون ما أراد:

فالبحر لا يُغرِق.. والنار لا تَحرِق.. والجبل لا يَعصِم.. والحوت لايَهضِم.. والعذراءُ تَلِد.. والرضيعُ يتكلَّم.. والقمر ينشق.. ونيام لا يصحون إلا بعد 300 سنة.. وعرش في اليمن يأتي إلىٰ الشام في طرفة عين.

فلا تقل هذا مستحيل بل قل يا رب يسّر وأعِنْ فالخلق خلقك والأمر أمرك ونحن في مُلكك والخير كله بيدك سبحانك لا حول لنا ولا قوَّةَ إلَّا بك.

العبد إما يملك السبب لكن غير قادر علىٰ الأخذ به، أو يملك السبب لكن قدرته علىٰ الأخذ ضعيفة بسبب الكسل أو ضعف عقل أو غيره، أو لا يملك سببًا أصلًا.

فإذا علمت هذا فكن علىٰ يقين وحسن ظن بالله أنه سبحانه يُبْقِىٰ مساحة الرجاء للجميع، وإن كانت أوسع لمن فقد السبب من الصنفين الآخرين، فإذا أراد العبد شيئا، لابد من حسن الظن، سواء أخذ بالأسباب أو فقدها.

إذن القاعدة هنا:

(كلما ضعفت الأسباب أو انعدمت مع صلاح النية؛ زاد حسن الظن في رب البرية)

2- إذا سألت الله تعالى مسائل فأعطاك بعضها فأحسن الظن بربك أنه سيتمها عليك:

عن الأعمش قال: قال عمرو بن عتبة بن فرقد: سألت الله ثلاثا فأعطاني اثنتين وأنا أنتظر الثالثة.

سألته أن يزهدني في الدنيا فما أبالي ما أقبل وما أدبر وسألته أن يقويني علىٰ الصلاة فرزقني منها وسألته الشهادة فأنا أرجوها.

وكان الحافظ ابن كثير صاحب التفسير المشهور يقول: إن الكريم إذا أنعم علىٰ عبد نعمة؛ كان حقًا عيه أن يتمها.

3- النظر في عواقب الأمور يساعدنا على حسن الظن بالله:

كان أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: أحب ثلاث:

1) أحب الفقر تواضعًا لربي.

2) وأحب المرض تكفيرًا لذنوبي.

3) وأحب الموت للقاء ربي.

فتأمل كيف يعلمنا هذا الصحابي الجليل أن نغير نظرتنا للأحداث، وأن ننظر كيف نستفيد أو ما الذي سنستفيده من ورائها؟

4- إحسان الظن يحملك على إحسان العمل:

قال سليمان بن علي أمير البصرة لعمرو بن عبيد: ما تقول في أموالنا التي نصرفها في سبل الخير؟ فأبطأ عمرو في الجواب، يريد به وقار العلم، ثم قال: إن من نعمة الله علىٰ الأمير أنه أصبح لا يجهل أن من أخذ الشيء من حقه ووضعه في وجهه فلا تبعةَ عليه غدًا. فقال: نحن أحسن ظنا بالله منكم، فقال: أقسم علىٰ الأمير بالله عَزَّوَجَلَّ، هل تعلم أحدًا كان أحسن ظنًا بالله من رسوله؟ قال: لا، قال: فهل علمته أخذ شيئًا قط من غير حِلِّه، ووضعه في غير حقِّه؟ قال: اللهمّ لا، قال: حسن الظن بالله أن تفعل ما فعل رسول الله ﷺ.

5- خيرة الله للعبد خير من خيرته لنفسه:

هناك مخاوف نحذرها لا يدفعها إلا الله، وهناك رغبات وأماني وآمال نطلبها لا يحققها إلا الله، فكلما خلصت نية العبد وصفت سريرته وازدلف إلىٰ ربه وأظهر لله فقره في السجود وفي غيره نال ما عند الله جَلَّوَعَلَا من العطايا، والرب تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أرحم بنا من أنفسنا، فقد لا يستجاب لنا في أمر أعظم في أنفسنا، وقد يعجل لنا الثواب، وقد يؤخر،

لكن ينبغي عليك أن تكون حسن الظن بربك جَلَّوَعَلَا، وأن تعلم حقيقة علمها الله نبيه وهي: أن خيرة الرب لعبده خير من خيرة العبد لنفسه، وسأضرب لك مثلًا من القرآن يدل علىٰ هذا المعنىٰ:

موسىٰ عليه الصلاة والسلام خرج من أرض مصر يتبعه فرعون وجنده، فلما وصل موسىٰ إلىٰ شاطئ البحر قال بنو إسرائيل: ﴿ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴾[الشعراء: 61]، فقال موسىٰ: ﴿ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾ [الشعراء: 62]، فأمر الله موسىٰ أن يضرب بعصاه البحر، فورد أنه قال: باسم الله، انفلق أبا خالد - وهي كنية البحر - فانفلق البحر، وأيًا كان الأمر سواء قالها موسىٰ أو لم يقل فقد انفلق البحر، ولما انفلق البحر أصبح البحر اثني عشر طريقًا يبسًا، فمشىٰ موسىٰ والمؤمنون الذين معه وتجاوزوا إلىٰ الشق الآخر، فلما وصل موسىٰ إلىٰ الشق الآخر كان فرعون داهية بمعنىٰ الكلمة، فلم يأمر فرعون جنده أن يعبروا البحر، بل توقف ينتظر ماذا سيحل بموسىٰ، لكن لا يمكن أن يرقىٰ مكر فرعون إلىٰ مكر الله؛ ففرعون منع جنده أن يعبروا البحر فوقف ينظر ما الذي سيحل بموسىٰ، وموسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ نجا هو المؤمنون جميعًا إلىٰ الشق الآخر، فلما وصلوا إلىٰ الشق الآخر أراد موسىٰ ألا يصل إليه فرعون، فبدهي من موسىٰ أن يضرب البحر بعصاه حتىٰ يعود بحرًا فيمتنع فرعون، فينجو موسىٰ ويعود فرعون، فهذا اختيار العبد الكليم موسىٰ بن عمران، لكن الله قال لموسىٰ: ﴿ وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًا ﴾

[الدخان: 24]، أي: اتركه ساكنًا، أي: ليس الأمر كما تحسب، فلم يقدر موسىٰ أن يضرب البحر؛ لأن الله نهاه، فبقي البحر يبسًا كما هو، فاقتنع فرعون أن البحر سيبقىٰ يبسًا أبد الآبدين، فهنا اطمأن فرعون فعبر، فلما عبر واكتمل جنده في البحر أمر الله البحر أن يعود بحرًا فعاد بحرًا، فأغرق فرعون وجنده ونجا موسىٰ.

فكانت خيرة موسىٰ أن ينجو وأن يعود فرعون، وكان قدر الله أن ينجو موسىٰ ويغرق فرعون، فتعلم بذلك أن خيرة الرب لعبده خير من خيرة العبد لنفسه.

6- إذا مدح شخص صادق شخصًا آخر؛ فإنك مباشرة تحسن الظن بهذا الشخص لما سمعت عنه:

وذلك كما جاء في سورة القصص عند قوله تعالىٰ: ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾[القصص: 26].

فَغار أبوها لما قالت هذا القول، وتعجب منه، وتساءل عنه، فقَالَلها: وَمَا يُدْرِيك مَا قُوَّته وَأَمَانَته؟ قَالَتْ: أَمَّا قُوَّته، فَمَا رَأَيْت مِنْهُ حِين سَقَىٰ لَنَا، لَمْ أَرَ رَجُلًا قَطُّ أَقْوَىٰ فِي ذَلِكَ السَّقْي مِنْهُ؛ وَأَمَّا أَمَانَته، فَإِنَّهُ نَظَرَ حِين أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ، وَشَخَصْتُ لَهُ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنِّي اِمْرَأَة صَوَّبَ رَأْسه فَلَمْ يَرْفَعهُ، وَلَمْ يَنْظُر إِلَيَّ حَتَّىٰ بَلَغْتهُ رِسَالَتك، ثُمَّ قَالَ: اِمْشِي خَلْفِي وَانْعَتِي لِي الطَّرِيق، وَلَمْ يَفْعَل ذَلِكَ إِلَّا وَهُوَ أَمِين، فَسُرِّيَ عَنْ أَبِيهَا، وَصَدَّقَهَا، وَظَنَّ بِهِ الَّذِي قَالَتْ.

هذا ظن مخلوق (الوالد) بمخلوق (موسىٰ) بسبب تصديقه لخبر مخلوق (بنته).

فكيف ينبغي أن يكون ظننا بالخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وهو الذي يخبر عن نفسه وهو أصدق القائلين.

فكيف ينبغي أن يكون ظننا به سبحانه حين يخبر عن نفسه أنه أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين، وأنه واسع عليم، وأنه ذو الفضل العظيم، وأنه أحاط بكل شيء علمًا، وأنه لا يظلم الناس شيئًا.

فكيف ينبغي أن يكون ظننا به سبحانه حين يخبر عنه نبيه وخليله ﷺ أنه كريم يحب العفو، وأنه يستحي من عبده إذا رفع يديه بالدعاء أن يردهما صفرًا خائبتين، وأنه يحب الستر، وأنه يفرح بتوبة عبده، وأنه يجيب دعوة المضطر، وأن قضاءه كله خير.

فكيف ينبغي أن يكون ظننا به سبحانه وهو القائل: «أنا عند ظن عبدي بي».

7- إذا وقع عليك بلاء فجأة لم تكن سببًا فيه، ولم ترتكب ذنبًا يتعلق به، فلتحسن الظن بربك فإنما أراد بك خيرًا، وسيتفضل عليك فضلًا:

تصور هذا المشهد المخيف.. بنت في الثالثة عشر من عمرها -تقريبًا- ، يخرج أمامها مَلَك من الملائكة يخبرها أن ربها أرسله إليها لتحمل غلامًا بلا أب، سيكون له شأن ومكانة عظيمة، ثم تجد نفسها



حاملًا، ثم يأتيها المخاض، ثم تلد غلامًا كما أخبرها الملك، سبحان الله ماذا تفعل هذه المسكينة، كيف تواجه الناس؟، تهرب؟ أم تمشي في الصحراء وحدها؟ كيف والمخاض يضرب بآلامه فيها ضربًا شديدًا.

كل هذه الصعاب والحمول فوق رأسها، وقد أثقلت قلبها، وهزت وجدانها، وأقلقت نفسها، حتىٰ قالت: ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾[مريم: 23]، **دعت بهذا الدعاء بسبب عفتها، وخوفها من أن يساء بها الظن،** ولم تعلم ما الذي ينتظرها، وماذا سيأتيها من الفضل والبركة، فما كان إلا وقد أجرىٰ الله لها نهرًا من تحتها ليسقيها منه، وأمرها بهز النخلة لتأكل من رطبها، فكفاها الله الطعام والشراب، فقال لها: ﴿فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا﴾[مريم: 26].... أتعلم ما معنىٰ: ﴿وَقَرِّى عَيْنًا﴾؟ يعني اطمئني غاية الاطمئنان.. يعني لا تحملي في قلبك همًا ولا قلقًا ولا حزنًا بل كوني فرحةً، كوني سعيدةً، فإن الذي يتولاكِ هو رب العالمين.

سبحان الله.. لو كانت فتاة فاسدة في هذا الموقف؟ كيف سيكون حالها؟ وكيف سيكون قلبها؟ وهل سيستوعب عقلها أو يعي قلبها هذه الآيات الربانية؟ هل إذا قيل لها: ﴿وَقَرِّى عَيْنًا﴾، هل تستطيع أن تمتثل؟ هل سيذهب ذلك الخوف من قلبها؟

تأمل معي مقومات حسن الظن في قصة مريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ:

أولًا: جاءها مَلَكٌ في صورة بشر يخبرها أنه رسول من عند الله.

ثانيًا: يخبرها أن وظيفته أن ينفخ نفخة - دون أن يمسها - فتحمل بسبب هذه النفخة ولدًا وسيجعله الله نبيًا من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

فتتأكد من صدقه لأنه لم يلمسها، وإنما نفخ نفخة، بل وحملت بالفعل، كل هذا في وقت قصير جدًا.

ثالثًا: لما جاءها المخاض و جلست تحت نخلة، كفاها الله الطعام والشراب، وكفاها وأمّنها فلم يتعرض لها مخلوق.

كيف بعد كل هذا لا تحسن الظن بربها؟ كيف لا تطمئن وكيف لا تسعد حين يقول لها: ﴿وَقَرِّى عَيۡنًا﴾.

ينبغي للعبد أن يتأمل ما يصنع الله به، وينظر في ماضيه وحاضره، ويعي إشارات الرب سبحانه له، ويتذكر كم وفقه، وكم نجاه، وكم أجابه، وكم آواه؟!! فهذا أدعىٰ لحسن الظن به سبحانه مهما كان البلاء ومهما كان الكرب.

ماذا فعلت مريم عَلَيۡهَاٱلسَّلَامُ بعد ذلك؟

قامت تحمل ابنها وذهبت إلىٰ قومها تواجههم، وليس في قلبها ذرة من الخوف.

لماذا؟!!... لأنها تشعر بمعية الله لها وأنه يتولاها، وما ذلك إلا بحسن الظن في ربها، فما أجمل حسن الظن.

8- إذا ابتليت بذنب فتذكر:

قال يحيىٰ بن معاذ: لولا أن العفو أحب الأشياء إليه، ما ابتلىٰ بالذنب أكرم الناس عليه.

فليس كل الناس علىٰ نفس الدرجة والحكمة إذا ابتلوا بالذنوب، فمنهم من ابتلي ليعاقب، ومنهم من ابتلي ليطهر، ومنهم من ابتلي ليكسر عجبه، ومنهم من ابتلي ليرحم أهل المعاصي ويشفق عليهم ويرفق بهم، ومنهم من ابتلي ليدرك نعمة الاستقامة، ومنهم من ابتلي ليدرك قيمة الاستغفار، ومنهم من ابتلي ليدرك قيمة الدعاء بالعافية... وهكذا.

أمر الله عَزَّوَجَلَّ عبيده بالاستغفار والتوبة عندما يرتكبوا معصية، ووعدهم بالعفو والمغفرة، مهما عظم الذنب فباب الله لا يغلق في وجه تائب، كما جاء في الحديث القدسي، قال رسول الله ﷺ قال الله تعالي: «**يا ابن أدم إذا بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي**».

9- ليس كل ما يتمناه المرء يبلغه، ومع ذلك ينبغي حسن الظن:

فقد يدعو الصالحون ولا يستجاب لهم كل ما أرادوا، بل قد رد الله عَزَّوَجَلَّ بعض دعاء خليله ومصطفاه وأحب الناس إليه محمد ﷺ، حيث قال ﷺ: «**سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ، وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً:**

سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ، فَمَنَعَنِيهَا»(1).

لماذا لم يعطه الله تعالىٰ هذه الدعوة بالذات؟!

لأن الله قضىٰ قضاء محتومًا علىٰ الأمة أنها ستفترق، فتجد العنصرية بسبب الأوطان، وبسبب العِرْق، وبسبب الدين فينقسمون جماعات وفِرَق، بل وحتىٰ يفترقون بسبب المباح والترفيه، كالافتراق المذموم المليء بالعصبية والظلم والجهل بين نوادي لعب الكرة وغيرها، مع أن الإسلام أذاب كل هذه الفروق وحث علىٰ الوحدة بين المسلمين.

فلم يكن الله تعالىٰ ليغير القضاء الذي قضاه، وإن كان من أجل دعاء نبيه وخليله وأقرب الناس إليه.

لكن.. أين حسن الظن هنا؟

نجده يوم القيامة، بإذن الله، ببشرىٰ وعد الله لرسوله ﷺ: **«سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك»**.



---

(1) رواه مسلم.



قالوا عن حسن الظن

❁ **قال ابن عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «عمود الدين وغاية مجده وذروة سنامه: حسن الظن بالله».

❁ **قال علي بن أبي طالب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «حسن الظن بالله أن لا ترجو إلاّ الله».

❁ **قَالَ دَاوُدُ الطَّائِيُّ**: «مَا يُعَوَّلُ إِلَّا عَلَىٰ حُسْنِ الظَّنِّ، فَأَمَّا التَّفْرِيطُ فَهُوَ الْمُسْتَوْلِي عَلَىٰ الْأَبْدَانِ».

❁ **قَالَ سَرِيٌّ السَّقَطِيُّ**: «ثَلَاثٌ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَبْرَارِ: الْقِيَامُ بِالْفَرَائِضِ وَاجْتِنَابُ الْمَحَارِمِ وَتَرْكُ الْغَفْلَةِ، وَثَلَاثٌ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَبْرَارِ يَبْلُغْنَ بِالْعَبْدِ رِضْوَانَ اللهِ: كَثْرَةُ الِاسْتِغْفَارِ وَخَفْضُ الْجَنَاحِ وَكَثْرَةُ الصَّدَقَاتِ، وَثَلَاثٌ مِنْ أَبْوَابِ سَخَطِ اللهِ: اللَّعِبُ وَالْمِزَاحُ وَالْغِيبَةُ، وَالْعَاشِرُ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ عَمُودُ الدِّينِ وَذُرْوَتُهُ وَسَنَامُهُ حُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ».

❁ **قَالَ أَبُو هَاشِمٍ**: «لِلَّهِ عِبَادٌ يُنْفِقُونَ عَلَىٰ قَدْرِ بَضَائِعِهِمْ وَلَهُ عِبَادٌ يُنْفِقُونَ عَلَىٰ حُسْنِ الظَّنِّ بِهِ فَأُولَئِكَ أُولَئِكَ».

❁ **قَالَ الْفضل بن سهل**: «رَأَيت جملَة السخَّاءِ حسن الظَّن بِالله،

وَجُمْلَة الْبُخْل سوء الظنِّ بِالله، وَقَالَ الله تَعَالَىٰ: الشَّيْطَان يعدُكم الفقرَ. وَقَالَ: «وَمَا أنفقتم من شَيْء فَهُوَ يخلفه»».

❁ **قال إِبْرَاهِيمَ بْنَ شَيْبَانَ:** «حُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ هُوَ الْيَأسُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ».

❁ **قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ:** «نَظَرْتُ فِي السَّخَاءِ فَمَا وَجَدْتُ لَهُ أَصْلًا وَلَا فَرَعًا إِلَّا حُسْنَ الظَّنِّ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَأَصْلُ الْبُخْلِ وَفَرْعُهُ سَوْءُ الظَّنِّ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ».

❁ **قال ابن عطاء:** «إن لم تحسن ظنك به لأجل وصفه، حسّن ظنك به لوجود معاملته معك، فهل عوَّدَكَ إلا حَسَنًا، وهل أسدىٰ إليك إلا مِنَنًا؟».

❁ من أعظم أسباب الطمأنينة حسن الظن بالله وحسن الظن بالناس، فحسن الظن بالله يُهوّن مصائب الأقدار، وحسن الظن بالناس يُهوّن سوء أفعالهم.

❁ أكثر ما يُفسد الناس ظنون السوء بلا بيّنة، فنهىٰ الله عن سوء الظنّ كله لشدّة الإفساد ببعضه ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحُجُرات: 12].

❁ شدة البلاء وتراكمه وطوله لا يقطع حسن الظن بالله ولا يجلب اليأس، فقدَ يعقوب أحب أبنائه وتبعه الآخر، ثم فقد بصره، ثم قال: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: 87].

۞ أكثر ما يدفع البلاء حسن الظن بالله مع الدعاء، ففي الحديث القدسي قال الله: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني».

۞ قد يكون رزقك المتأخر أفضل من أرزاقهم المتقدمة.

۞ حزن المؤمنين حزن مضيء حافل بالرجاء، وهم في ذروة الألم لا يكفوا عن حسن الظن بالله، ولا يفارقهم شعورهم بالأمن لأنهم يشعرون بأن الله معهم دائمًا، وأكثر ما يحزنهم نقصهم وعيبهم وخطيئتهم.

۞ غاية المعرفة بالله.. حسن الظن به، وغاية المعرفة بالنفس.. سوء الظن بها.

۞ إذا رزق اللهُ عبده حسن الظنّ، فهي علامة الأخذ بيده.

۞ كما أن الصبر عند الصدمة الأولىٰ يحفظ لك الأجر؛ كذلك حسن الظن عند أول البلاء يخرجك إلىٰ الخير.



ملحق الأسئلة

1- ما العلاقة بين حسن الظن بالله و بين ذكر الله؟

الجواب: الحمد لله، ثبت في الحديث القدسي عن رب العزة جَلَّوَعَلَا أنه قال: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني..»، وذلك لأن ذكر الله تعالىٰ أفضل وأسرع الأسباب في ثبات القلب وسكينته وطمأنينته، كما قال تعالىٰ في كتابه الكريم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾[الرعد: 28].

وإنَّ القلب إذا اطمأن... أحسنَ الظن.



2- كيف يتعامل العبد إذا أخذ بالأسباب ورأى فيها تيسيرًا فأحسن الظن بالله أنه سبحانه سيقضي حاجته، ثم فُتِح له في الدعاء؛ فازداد حسن ظنه بالله أن حاجته ستقضى- لا محالة، ثم رأى رؤيا مبشرة، أو رأى غيره له رؤيا مبشرة أن حاجته ستقضى- فامتلأ قلبه بحسن الظن بالله أن الله سيجيب دعاءه، وأن الرؤيا سيجعلها الله صدقًا وحقًا، وأن حاجته ستقضى، ثم لم يقدِّر الله قضاءَ حاجته؟ كيف يدفع هذه الخيبة التي قد تصيبه؟ وما الحكمة من هذا الذي حصل معه؟

الجواب: الحمد لله، هناك أربعة أوجه للرد على هذا السؤال:

أولًا: قد مر معنا أن هناك وجه شبه بين حسن الظن وبين الدعاء، وأن له ثلاث حالات مثل الدعاء:

إما يرى أثر حسن ظنه في الدنيا كما أراد، وهذا خير.

وإما يدفع ويصرف عنه من البلايا والمصائب بقدر ما أحسن الظن، وهذا أيضًا خير.

وإما يُدَّخر له من الثواب والحسنات في الأخرة بقدر ما أحسن الظن، وهذا أيضًا خير.

ثانيًا: وقد يكون تدريبًا لقلب العبد أيضًا على معرفة وساوس إبليس التي يلقيها في نفسه إذا لم ير أثر حسن ظنه بربه، فيتعلم كيف يردها ويصرفها ولا يتركها تستقر في قلبه فيسيئ الظن بربه، كما أشار لذلك ابن الجوزي في كتابه الماتع صيد الخاطر.

ثالثًا: قد يكون هذا تدريبًا لقلب العبد ليتعود على هذا النوع من البلاءات والصدمات النفسية، لأنها لا تدق باب العبد مرة أو مرتين في حياته، بل ينبغي أن يوطن نفسه أنه سيتقلب بين إجابة دعائه وتأخير الإجابة، وبين رؤية أثر حسن ظنه وعدم رؤية أثر حسن ظنه، وذلك كما قال ربنا في كتابه: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾[الانشقاق: 19] أي: طبق الصحة وطبق المرض، وطبق الضيق وطبق السعة، وطبق الغنى وطبق

الفقر، وطبق البلاء وطبق العافية، فإذا تُعوِّد القلب علىٰ التعامل مع هذه البلاءات والصدمات بهذه النظرة الصحيحة؛ لم ييأس قط، ولم يحزنه تأخير حاجته، ولم يقنط من رحمة ربه، بل سيظل يحسن الظن بالله في جميع حالاته حتىٰ يلقىٰ الله تعالىٰ بذلك.

رابعًا: وقد يكون هذا تجديد وتثبيت لعقيدة المؤمن في الإيمان بالله والإيمان بالقدر خيره وشره.



3- ما هي العلاقة بين حسن الظن بالله وبين التطيُّر؟

الجواب: الحمد لله، الطَّيْر يكون بالتفاؤل، وليس التشاؤم فقط، حيث كان العرب يتطيرون بالسوانح والبوارح، فينفِّرون الظباء، والطيور، فإن أخذت ذات اليمين تبركوا به، ومضوا في سفرهم وحوائجهم، وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم، وحاجتهم وتشاءموا بها.

فكانت تصدهم في كثير من الأوقات عن مصالحهم فنفىٰ الشرع ذلك، وأبطله، ونهىٰ عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير بنفع، ولا ضُر، مثل ما روي أن عمر بن عبد العزيز كان مع رجل، فمر فوقهم طائر يُغَرِّد، فتفاءل الرجل وقال: خير إن شاء الله، فقال له عمر: لا خير ولا شر. (يصحح له اعتقاده أن هذا أمر عادي يحدث مثل أي أمر آخر، لا تأثير له في خير أو شر، فلا مجال هنا للتفاؤل أو التشاؤم).



وجاءت النصوص متوافرة بهذا الشأن، من ذلك:

قوله ﷺ: «**الطِّيَرة شِرْك.. الطِّيَرة شِرْك**».

وقوله ﷺ: «**من ردته طيرتُه عن حاجته فقد أشرك**».

إلا أن الشرع استثنىٰ من الطيرة (التفاؤل)، كما ثبت عن النبي ﷺ قوله: «**لا طيرة، وَخَيرهَا الفـأل**»، قَالُوا: وَمَا الفأل يَا رَسُول الله؟ قَالَ: «**الْكَلِمَة الصَّالِحَة يسْمعهَا أحدكُم**».

فابتدأهم النَّبي بِإِزَالَة الشُّبْهَة وإبطال الطَّيرَة، لِئَلَّا يتوهموها عَلَيْهِ فِي إعجابه بالفأل الصَّالح، وَلَيْسَ فِي الْإِعْجَاب بالفأل ومحبته شيء من الشّرك، بل ذَلِك إبانة عَن مُقْتَضىٰ الطبيعة وَمُوجب الْفطْرَة الإنسانية الَّتِي تميل إِلَىٰ ما يلائمها ويوافقها مِمَّا ينفعها.

وذلك لأن التفاؤل يحمل العبد علىٰ حسن الظن بالله تعالىٰ، ولكن ذلك بشرطين: صحة الاعتقاد أن هذه الكلمة التي سمعها ليس لها تأثير في شيء، وعدم القنوط واليأس إن لم تقضىٰ حاجتك.

وقد قال ابن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الفرق بين الفأل والطّيرة أنّ الفأل من طريق حسن الظّنّ بالله، والطّيرة لا تكون إلّا في السّوء فلذلك كُرِهَت.



4- ما هي صفات الذين يعيشون حسن الظن بالله دومًا ولا ينقطع عنهم في جميع أحوالهم؟

الجواب: الحمد لله، لا شك أن حسن الظن بالله تعالىٰ من أجل النعم التي ينعم الله بها علىٰ عباده، فمن رزق حسن الظن بالله في جميع أحواله فقد أوتي خيرًا كثيرًا، وهؤلاء هم أهل طاعة الله، فبقدر استقامة العبد علىٰ أمر الله وطاعته يوفق ويرزق حسن الظن في جميع أحواله، ولكن ليس الأمر علىٰ الإطلاق، فكل منا له حالات إقبال وإدبار، فإن كان الغالب علىٰ أحدنا العمل بطاعة الله؛ فليحسن الظن بالله، وإن وقع أو غفل؛ فليستغفر الله وليحسن الظن بالله.

وإن قدر الله عقبة أو مصيبة أو بلاء خلال سيرك في عمل أو طاعة لله فإياك وسوء الظن وإياك وقبول وساوس الشيطان أن يشككك في إخلاصك أو يصدك عن إكمال طاعتك، بل أنت علىٰ خير فأحسن الظن بربك، وتذكر لما قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنّبيّ ﷺ، لما كانوا في الغار: لو أنّ أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال له النبي ﷺ: ما ظنّك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما (أي ما ظنك باثنين في طاعة الله، هل يتخلىٰ الله عنهم؟).





5- أحيانًا أعيش حسن الظن حين تكون لي حاجة أو أُبتلى بكرب، وألزم الدعاء، والذكر، وأزيد من وردي من القرآن، وأوصي أمي وبعض الصالحين ممن أحسبهم كذلك بالدعاء، وأتصدق ببعض الصدقات، ومع ذلك تزداد المشاكل، ويثقل الكرب، وتضيق علي الدنيا، كأن شيئًا من هذا كله لم ينفع ولم يشفع لي عند ربي، وكأني أدعو على نفسي، لا أدعو لها، فكيف أعرف حقيقة الأمر، وكيف أتأكد أن حسن ظني في محله، وكيف أدفع هذا الشعور بالشك واليأس؟

الجواب: الحمد لله، المعيار الذي تعرف به حقيقة الأمر، وأنك علىٰ خير، وأن حسن ظنك في محله، هو أن الله تعالىٰ حين ابتلاك لم يبتليك في دينك، بل ابتلاك في دنياك، لم يبتليك في دينك فلم يحرمك طاعته، ولم يحجبك عن قرآنه، ولم يمسك لسانك عن ذكره ودعائه ومناجاته، ولم يبتليك بمعصيته، بل شغلك بخدمته، وشغلك عن مواضع سخطه، فلم تخوض مع الخائضين هنا وهناك، ولم تقع في أوحال الذنوب، حينها تعرف مقامك ومنزلتك عند الله تعالىٰ، وأنك عزيز عنده، وتذكر قصة يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما دعا قومه إلىٰ الله، فرفضوه ولم يقبلوا منه، فغضب منهم، وترك قريته وقومه وذهب دون أن يأذن له ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فعاقبه الله بأن ابتلعه الحوت في البحر، فكان في كرب شديد، ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل، ومع ذلك أطلق الله لسانه بالذكر والدعاء، وأقامه بين يديه فكان يصلي وهو في

بطن الحوت، وكان من دعائه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: واتخذت لك مسجدًا لم يسجد لك أحدٌ فيه قبلي[1].

وقد حكىٰ ربنا جَلَّ وَعَلَا في كتابه خبر نبيه يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقال سبحانه: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[الأنبياء: 87 - 88].

وذكر لنا كيف عوَّضه مقابل حسن ظنه، والمداومة علىٰ صلاته، وذكره، ودعائه، أنه شرح صدور قومه فاستجابوا له، وآمنوا جميعًا ولم يتخلف منهم أحد، فقال سبحانه: ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾[الصافات: 147- 148].

فإن أقامك الله علىٰ طاعته، وجنَّبك معصيته، حين احْتَجْتَه فأحسن الظن بربك، فإن حاجتك مقضية.



6- لا شك أن الرسل عليهم الصلاة والسلام أفضل عباد الله وصفوته من خلقه وأعلى الناس إيمانًا، لكن مرت علي آية من القرآن الكريم أشكل علي فهمها، وهي قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ

(1) يقصد: بطن الحوت.

ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف: 110]، **فهل وقعت الرسل في اليأس وسوءِ الظن؟**

الجواب: الحمد لله، قد وقع هذا الإشكال لعروة بن الزبير ابن أخت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا، فذهب يسألها عن هذه الآية الكريمة، فقال لها: «أكذبوا أم كذّبوا؟ قالت عائشة: كذبوا.

فقال: فقد استيقنوا أنّ قومهم كذّبوهم، فما هو بالظّنّ؟

قالت: أجل لعمري، لقد استيقنوا بذلك، فقال لها: وظنّوا أنّهم قد كذبوا؟

قالت: معاذ الله، لم تكن الرّسل تظنّ ذلك بربّها.

فقال: فما هذه الآية؟ قالت: هم أتباع الرّسل الّذين آمنوا بربّهم وصدّقوهم، فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النّصر، حتّىٰ إذا استيأس الرّسل ممّن كذّبهم من قومهم، وظنّت الرّسل أنّ أتباعهم قد كذّبوهم، جاء نصر الله عند ذلك[1].



7- ما هي أسوء صورة من صور سوء الظن؟

الجواب: الحمد لله، أسوء صورة من صور سوء الظن هي أن يظن بالله أنه يخلف وعده ويكذب في كلامه، فيقع العبد في تكذيب الله تعالىٰ،

(1) رواه البخاري.

وهذا لا يقع إلا من الكافرين والمنافقين، وقد الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: 122]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ [إبراهيم: 47]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: 171 - 173].

وقد فسّر ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قوله تعالىٰ: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [سورة الفتح]:

ظن هؤلاء بأنّه سبحانه لا ينصر رسوله، وأنّ أمره سيضمحلّ، وفسّر أنّ ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسّر بإنكار الحكمة وإنكار القدر، وإنكار أنّ يتمّ أمر رسوله، وأن يظهره علىٰ الدّين كلّه، وهذا هو ظنّ السّوء الّذي ظنّ المنافقون والمشركون، وإنّما كان هذا ظنّ السّوء؛ لأنّه ظنّ غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصّادق، فمن ظنّ أنّه يديل الباطل علىٰ الحقّ إدالة مستقرّة يضمحلّ معها الحقّ، أو أنكر أن يكون ما جرىٰ بقضائه وقدره، وأنكر أن يكون قدّره لحكمة بالغة يستحقّ عليها الحمد، بل زعم أنّ ذلك لمشيئة مجرّدة، ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ[1].



(1) «الصواعق المرسلة» بتصرف، وانظر: «تيسير العزيز الحميد».

8- الحمد لله أعيش حالا طيبة مع الله، و تغمرني نعمه الكثيرة، وأعترف بالفضل لله وحده فيها، لاسيما هذه الأيام، لكني كلما أتتني نعمة أشعر بالخوف من أن أُسْلَبَها، فكيف النجاة؟

الجواب: الحمد لله، طالما ليس هناك سبب لهذا الخوف، وإنما فقط تأتيك هذه الحال بعد كل نعمة فهذا من سوء الظن بالله، فإن الكريم سبحانه إذا أنعم علىٰ عبده نعمة يحب أن يشكره عليها ويظهر أثرها عليه ويستعملها فيما يحب ويرضىٰ، ولا يحب أن يقابل العبد النعمة بفرح متوتر ونفس قلقة وقلب خائف أن يسلبها الله منه، فهذا من سوء الظن بالله سبحانه، وهذا عبد الله بن المبارك قال: جئت إلىٰ سفيان الثوري عشيّة يوم عرفة، وهو جاث علىٰ ركبتيه، وعيناه تهملان من الدموع، فبكيت، فالتفت إليّ فقال: ما شأنك؟ فقلت: من أسوأ هذا الجمع حالًا؟ قال: الّذي يظنّ أنّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يغفر لهم.

أما إن كان هناك سببا لهذا الخوف كذنب كبير أذنبته فتخاف أن ينزع الله عنك النعمة عقوبة لك، فكل الذي عليك حينئذ أن تعمل علىٰ إزالة سبب هذا الخوف فقط بأن تسارع بالتوبة وترجع إلىٰ ربك وتستغفره، فإن الله أكرم من أن ينعم علىٰ عبده نعمة ثم ينزعها منه هكذا دون سبب، بل إن الكريم إذا أنعم علىٰ عبد نعمة كان حقا عليه أن يتمها، فانشغل بالشكر و دع عنك الخوف، وأحسن الظن بربك.



٩- شخص وقع عليه بلاء شديد، حتى وصل الأمر للقنوط من رحمة الله، ويسأل كيف لم يمنع الله عني هذا البلاء؟ ولماذا يبتليني الله أصلًا بهذا الأمر؟ أين رحمته بخلقه؟ ألست عبدًا من عباده؟ لو كان والدي لأنقذني من هذا البلاء ورحمني، فكيف بالله القادر على كل شيء؟

كيف نخفف على هذا الشخص ما وصل إليه، وكيف نخرجه من سوء الظن بالله إلى فهم حكمة الله وإلى حسن الظن فيما يقدر علينا؟

الجواب: الحمد لله، **أولًا**: نسأل الله أن يفرج عنه هذا البلاء الكبير، ونرجو أن يربط الله علىٰ قلبه، وينير له طريق عافيته.

ثانيًا: نقول له: إن نبي الله يحيىٰ بن زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ تم شَقُّه بالمنشار، وقُدِّم جسدُه مهرا لامرأة بغي ساقطة، وأصحاب الأخدود كانوا مؤمنين وألقوا في النار جميعًا والله يشاهدهم.

إن الله إذا ترك المصيبة تقع بالعبد فهو يبتليه، فإن صبر كانت بابا لدخوله الجنة، وإن لم يصبر دل ذلك علىٰ عدم أهليته لما أعدَّه الله للمؤمنين الصابرين، ولو كانت الدنيا دار نعيم لا بلاء فيه لكانت جنة، ولما كانت هي دار الامتحان التي تميز بين الناس ودرجاتهم وما يستحقون.

بعض الناس يكون ابتلاؤه في بدنه، أو عرضه، أو ماله، أو عياله

وبعض الناس يكون ابتلاؤه غنىٰ يلهيه ويُذهله عن ربه، فلا يفيق إلا وهو في النار.

وبعض الناس يكون ابتلاؤه سلطة تُطغيه، فهو يستحم بدمها ليل نهار حتىٰ يلقىٰ الله وما له حسنة تنفعه، وفوق ظهره خطايا الناس.

وقد قد كان فيما قدره الله وقضاه في هذه الدنيا أن أراذل الخَلْق يقتلون الأنبياء.

وجُعل قتل نبي كريم قربانًا يتقرب به ملك كافر لبغي فاجرة.

وقد أخبرنا الله في قرآنه عن مَلِكٍ جبار، وهو يحفر الأخدود ليُلْقِي فيه المؤمنين، ولم يجزع هؤلاء المؤمنون، ولم يتسخطوا قدر ربهم فيهم، ولم يقولوا: يا رب آمنا بك، فكيف تترك مَنْ يتسلط علينا ليعذبنا ويحرقنا؟!

ما يحدث لك ولغيرك ليس جديدًا أصلا، وإن الله لم يخدع الناس شيئًا، بل هو سبحانه مَنْ حكىٰ لنا أخبار البلاءات العظيمة التي وقعت بأوليائه، أفحسبتم أن تؤمنوا وأنتم لا تفتنون؟

علىٰ أي جوانبها تدور الرحىٰ، فإنها لا تدور إلا لتُلقي برأسك علىٰ عتبة مولاك، صابرًا علىٰ البلاء، شاكرًا علىٰ النعماء، مستغفرًا من الذنوب، مطيعًا مفتقرًا ترجو رضاه والجنة.

وإن أعظم غيب آمنت به، غيبٌ تكون في شهادته راحةُ نفسك؛ فإنك إن صبرت علىٰ ألمِ الغيب وآمنت به، ورضيت أن تَبقىٰ مؤمنًا به وهو غيب لم ترىٰ شهادته بالنصر وعقوبة الظالم في الدنيا - رغم أن

راحتك في شهادته - وأن تنال العافية وتشتفي من ظالمك؛ كان لك من أجر المؤمنين بقدر صبرك وألمك، ما لا يكون لمن شهد هذا الغيب فأراه الله ما يشفي صدره في الدنيا.

ولو كان كل ظالم تأخذه صيحة تهلكه؛ لما كان ليوم الحساب معنىٰ، ولا كان يبقىٰ للصبر موضع، ولا كانت التوبة فضيلة يُجزىٰ صاحبُها الجنة.

والمؤمن يجعل بين عينيه قول السحرة لفرعون لما آمنوا فعذبهم: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾﴾[طه: 72]، وقولهم: ﴿لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾[الشعراء: 50].

قصة السحرة مع فرعون من أظهر نصوص الوحي في فهم طبيعة الابتلاء وميزان الخير والشر، فهذه الدنيا وما يكون فيها ليست معيارًا للخير والشر، وليست ميدانًا لتحقيق العدل الإلهي أصلًا.

إن الله عَزَّوَجَلَّ يبتلي عباده ليرفع درجات الصابرين، ويزيد في عذاب الظالمين، ويمحص صف المؤمنين، ولتقام بهم الحجة علىٰ عذاب المجرم يوم القيامة فلا يشفق عليه أحد، ولا يعتذر عنه أحد، وليمتحن الله بهم أمثالنا من المؤمنين أيثبتون أم يستزلهم الشيطان فيكفروا.

أما المبتلون، فغَمْسةٌ في الجنة تنسي كل شقاء كأن لم يكن، يخلقهم الله خلقًا آخر، فهو ربُّهم ومِلكُهم ولولاه ما كانوا.

وهو سبحانه الذي ذكر لنا في محكم التنزيل خبر المؤمنين الذين يُلْقون في أخدود النار، ثم بيَّنَ النبي ﷺ من ذلك موقفًا عظيمًا، فيقول ﷺ: «**جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أم.. اصبري، فإنك علىٰ الحق**».

إن طائفة المؤمنين الذين أعد الله لهم جنات النعيم، يعلمون أن الدنيا وشرَّها كله يسير في مقابل جنة الخلد ونعيم لا يفنىٰ، ونظرة إلىٰ وجه الله الكريم، لا يبقىٰ في النفس بعدها شيء غيرَ النعيم تذكره.

فإذا علمت حكمة الله من البلاءات، وأنه سبحانه يجبر المبتلين في الدنيا والآخرة برحمته وحكمته، فأحسن الظن بربك، فلم يقدر عليك، ولم يرد لك إلا الخير والنعيم الأبدي.



10- ما هو أفضل حديث في فضل حسن الظن والترغيب فيه؟

الجواب: الحمد لله، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَرْبَعَةٌ، فَيُعْرَضُونَ عَلَىٰ اللهِ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَىٰ النَّارِ، فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا أَنْ لَا تُعِيدَنِي فِيهَا، قَالَ: فَيُنْجِيهِ اللهُ مِنْهَا**»[1].

تأمل بارك الله فيك، هذا الموقف المهيب الجليل في يوم القيامة،

(1) رواه مسلم.

أي بعد الموت وانقطاع العمل، بعد مرحلة البرزخ والقبر، بعد البعث والنشور، بعد الميزان وحساب الخلائق، بعد ما قضىٰ ربنا جل جلاله أن هؤلاء في النار خالدين فيها، وهؤلاء في الجنة خالدين فيها، ويبقىٰ في النار عبدٌ مؤمنٌ، لكن غلبت عليه شِقْوتُه، وغلبت سيئاتُه حسناتِه، وغلب شرُّه خيرَه، ولم تدركه شفاعة من الشفاعات، ولم يكن له رصيد من الصدقات الجاريات، فاستحق النار لمدةٍ قدَّرها العزيز الجبار، ثم أراد العزيز الرحيم أن يرحمه، فأخرجه من النار قبل استحقاق مدته، وألقىٰ في قلبه (حسنَ الظن به سبحانه) حين أخرجه، فلما أمر الله بعودته إلىٰ النار؛ نطق لسانُه بما في قلبه، طامعًا راجيًا رحمةَ ربه، نطق وليس معه إلا حسن الظن، فلما رأىٰ الله تعالىٰ عَجْزَ عبده مع حسن ظنه؛ رحمه وأنجاه من النار وأدخله الجنة.

فاللَّهُمَّ املأ قلوبنا بحسن الظن فيك حتى تدخلنا الجنة... آمين.





مُحتويَات الكِتابْ



